أثر الوظيفة السياحية على خريطة استخدام الأرض في مدينة أبها

د. أحمد حسن ابراهيم حسن*

مقدمة :

قدم الباحث إلى مدينة أبها في أواخر صيف عام ١٩٩٠ للعمل باحدى جامعات المملكة العربية السعودية، ومع اقتراب الطائرة من مطار أبها وعلى طول الطريق إلى المدينة، ومن خلال الحس الجغرافي، فقد جذبت الطبيعة الجبلية والعمرانية المتميزة لبيئة مدينة أبها واقليمها الجغرافي انتباه الباحث. وقد تعمق هذا الاحساس من خلال اقامته بالمدينة لمدة عامين أدرك فيها بحسه الجغرافي وعينه الفاحصة ما تتمتع به مدينة أبها من ملامح جغرافية متفردة تستحق الدراسة.

فهي مدينة اختار لها سكانها الأوائل موضعا متميزا في بيئة جبلية على أحد خطوط تقسيم المياه فوق سروات عسير على منسوب يبلغ حوالي ٢٢٠٠ متر، وتتمتع بمناخ له ملامحه المتفردة، مطر طول العام تقريبا وصيف معتدل الحرارة وشتاء دفيء نهارا بارد ـ نوعا ـ ليلا، كما يتمتع بتركيب وظيفي متميز تضافر في بنائه عدد من الوظائف التي تمارسها المدينة من أبرزها الوظيفة السياحية التي تركت بصماتها واضحة على هذا التركيب حيث يستطيع الزائر أو المقيم في مدينة أبها أن يتبين بسهولة التغير الديموغرافي والتجاري للمدينة خلال فصلي السنة، صيف تزدحم فيه المدينة بالوافدين إليها من السائحين والزائرين، وحركة دائبة ونشاط ملحوظ يميز الحياة فيها خلال هذا الفصل، بينما تعيش المدينة فصل شتاء هادىء نسبيا يصل الى حد السكون ـ خاصة في أثناء عطلتي نهاية الأسبوع أو منتصف العام الدراسي.

ولقد كان ذلك حافزا ودافعا لتكون الوظيفة السياحية كوظيفة متميزة في مدينة أبها واقليمها مجال بحثي الذي يتناول أثر هذه الوظيفة على خريطة استخدام الأرض في المدينة، آملا أن يلقى الضوء على مدى أهمية هذه الوظيفة ودورها في تنمية المدينة واقليمها اقتصاديا وعمرانيا.

فرضية البحث وخطته :

يقوم البحث على فرضية أساسية هي : أن الوظيفة السياحية تمثل أحد الوظائف الرئيسية الحاكمة التي أسهمت في تشكيل التركيب الوظيفي لمدينة أبها يشاركها في ذلك كل من الوظيفتين الادارية والتعليمية، حيث تعتبر أبها عاصمة امارة عسير ومقر حاكمها، كما تمثل مركزا للتعليم العالي حيث تضم فرعين لجامعتين وعددا من المعاهد العلمية العالية.

* أستاذ مساعد بجامعة القاهرة وجامعة الامارات العربية المتحدة.

وقد اعتمدت خطة البحث بدرجة كبيرة على الدراسة الميدانية من أجل الحصول على مزيد من المعلومات التي تعذر الحصول عليها من الدراسات القليلة المتاحة. وقد تمت الدراسة الميدانية على مرحلتين: الأولى استغرقت عشرة أيام خلال شهر يناير ١٩٩١، والثانية استغرقت اثنى عشر يوما متفرقة خلال شهر مارس من نفس العام، هذا إضافة إلى إقامة الباحث بالمدينة لمدة عامين كاملين كان يتابع ويحلل الظاهرات العمرانية ويقيمها من المنظور العلمي الهادف، ولعل مما يجدر الاشارة إليه في هذا المجال أن الحصول على بيانات من الميدان كان في كثير من الأحوال أمراً صعبا تحدده الكثير من الاجراءات والقيود الأمنية التي كان لا بد من الالتزام بها، ومن ناحية أخرى تمثل قلة البيانات الرسمية المنشورة ـ خاصة في مجال السكان ـ وعدم وجود بيانات رسمية منشورة عن حركة السياحة يمكن الاعتماد عليها أحد المشكلات الرئيسية التي واجهت الباحث.

واتخذت الدراسة الحدود العمرانية للمدينة الحد الذي اعتمدت عليه في تحديد إطار الدراسة حيث إن حدود بلدية أبها كما يتضح من الخريطة (شكل ٣) تبعد في كثير من الأحيان عن حدود عمران المدينة، هذا بالإضافة إلى أن طبيعة موضوع البحث تدعم اختيار الحد العمراني اطارا مقبولا للدراسة.

وقد قسم البحث الى ثلاثة مباحث رئيسية وخاتمة، تناول المبحث الأول فيها الملامح الجغرافية والعمرانية لمدينة أبها مع إهتمام خاص بعنصري موضع المدينة وموقعها، وعالج المبحث الثاني خريطة استخدام الأرض في المدينة دراسة تحليلية تقييمية، وتناول المبحث الثالث أثر الوظيفة السياحية في مرفولوجية خريطة استخدام الارض، وقد تضمنت الخاتمة أهم نتائج الدراسة وتوصياتها بهدف الارتقاء بالوظيفة السياحية لمدينة أبها بما يحقق نقلة نوعية لهذه الوظيفة المتفردة.

أولا: الملامح الجغرافية والعمرانية لمدينة أبها

تتميز هذه المدينة الصغيرة الهادئة القابعة فوق مرتفعات عسير مقارنة بغيرها من مدن المملكة بكثير من الملامح الجغرافية والعمرانية التي تضفي عليها قدرا من التميز والتفرد بين أقرانها من مدن المملكة، ويمكن على ضوء هذا العرض الموجز لبعض الملامح الجغرافية والعمرانية للمدينة أن نتبين ما تتمتع به من تميز وتفرد.

١ ـ النشأة والتطور :

إذا كان اسم عسير الذي تنتمي إليه المدينة في إقليمه ـ اسما حديثا على خريطة شبه الجزيرة العربية، فإن اسم أبها يشارك أيضا في هذه الحداثة. ويعد الرحالة أبو الحسن محمد الهمداني ـ الذي توفى عام ٩٤٦م ـ أقدم من أورد اسمها في أحد مؤلفاته إذ يذكر «. . ودخلنا عسير إلى رأس تية، وهي عقبة من أشراف تهامة وهي أبها، وبهاقبر ذي القرنين فيما يقال عثر عليه على رأس ثلاثمائة من تاريخ الهجرة». وفي مكان آخر يصف أبها فيقول: «أبها قاعدة بلاد عسير وهي من أمتع بلاد الله

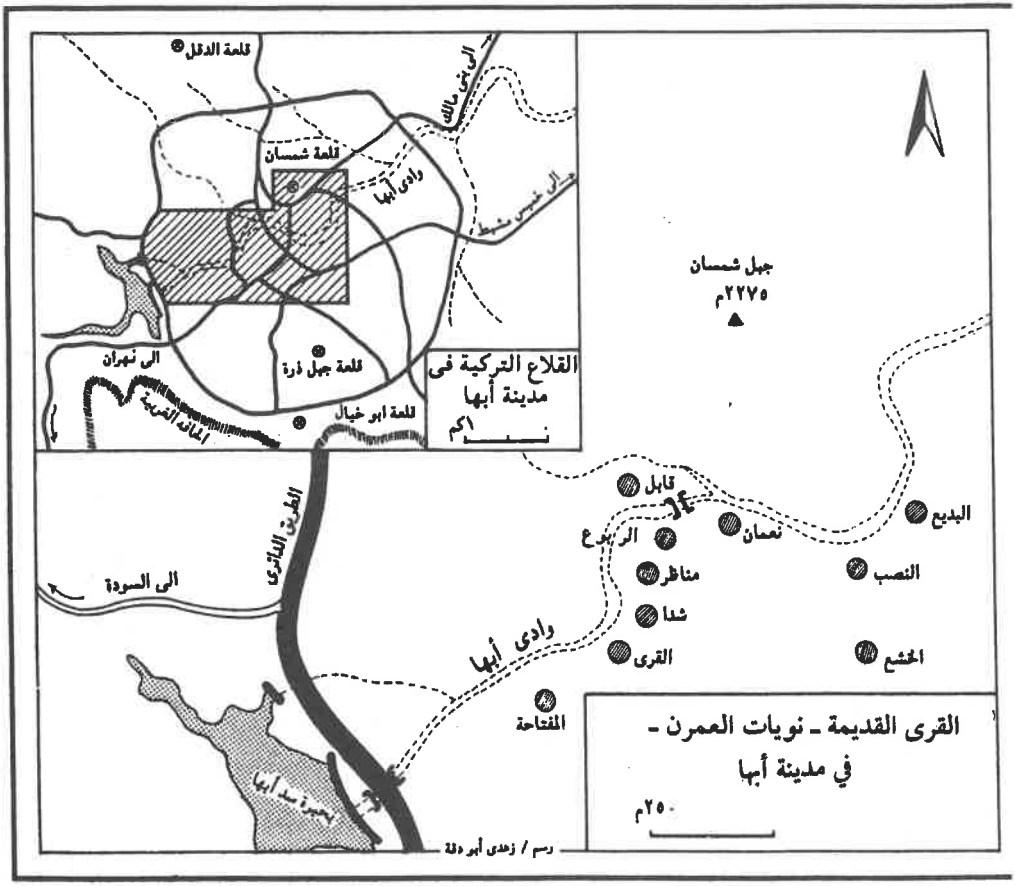

شكل (١)

وأرقها هواء وألطفها بقعة وأنزلها رقعة». (الحسن الهمداني ص ٢٥٦).

وقد نشأت المدينة في موضعها الحالي نتيجة لاتحاد مجموعة من القرى كانت تنتشر على طول وادي أبها، التي تمثل الآن أحياء للمدينة بحيث يمكن من خلالها الاستدلال على مواضع هذه القرى مثل أحياء مناظر والمفتاحة وقابل والخشع، ويرى البعض أن مناظر هي أقدمها وتمثل نواة عمران المدينة وأصل نشأتها ثم اتسعت حدودها وامتدت رقعتها لتضم بعض القرى الأخرى القريبة منها، ولعل ذلك يتفق مع إشارة فؤاد حمزة الذي وصفها بأنها مدينة زاخرة تتكون من عشر قرى ممتدة على طول وادي أبها. (فؤاد حمزة ص ٢٨ ـ ٣١).

ويمكن أن نقسم مراحل نمو المدينة ـ بعد فترة ما بعد النشأة ـ إلى ثلاث مراحل: أولها فترة الحكم العثماني، وثانيها فترة قيام الدولة السعودية وخضوعها لنفوذها، وثالثها المرحلة الحديثة الحالية.

المرحلة الاولى: (١٨٣٠ - ١٩٢٠)

نمت خلالها المدينة وتطورت خاصة بعد أن اتخذها الأتراك مركزا إداريا لسنجق عسير في عام ١٨٧٢، ومقرا لإحدى فرقهم العسكرية [Abdul Fattah, P. 100]، ولقد أقاموا فوق الجبال المحيطة بالمدينة العديد من القلاع ونقط المراقبة التي لا زالت - أطلال الكثير منها قائمة حتى الآن، مثل قلعة جبل ذرة وقلعة شمسان وقلعة أبو خيال وقلعة الدقل التي يوضح مواضعها بالنسبة للمدينة (خريطة شكل ١) (على عسيري ص ٢٨ - ٣١).

المرحلة الثانية: (١٩٢٠ - ١٩٥٠)

وهي تبدأ بعد قيام الدولة السعودية وبسطها السيطرة على منطقة عسير وما جاورها في عام ١٩٢١، حيث أعلنت مدينة أبها مركزا إداريا للمنطقة الجنوبية وتأسست بلديتها عام ١٩٣٨م، وبدأت المدينة تشهد عصرا آخر من التطور العمراني والازدهار حتى أصبحت ثاني أكبر المراكز الحضرية بالاقليم بعد مدينة خميس مشيط التي تبعد عنها حوالي ٢٨ كيلو مترا، حيث قدر عدد سكانها بنحو ٤٠٠٠ نسمة في عام ١٩٣٠ [Abdul Fattah, P,101]، وكانت المدينة حتى ذلك الوقت مرتبطة بموضع مجموعة القرى المتراصة - نواة عمرانها - على طول وادي أبها في قطاع لا يزيد طوله عن كيلو مترين والتي بلغ عددها عشر قرى، وهي المفتاحة والقرى ونعمان والربوع وشدا ومناظر والبديع والخشع والنصب، وكلها تقع على ضفة واحدة من الوادي بينما كانت قرية قابل الوحيدة على الضفة الأخرى (خريطة شكل ١)، وكانت هناك مساحات واسعة من الأراضي الفضاء تمتد بين هذه القرى، يعقد في أحدها سوق أبها في كل يوم ثلاثاء، أما الأراضي الزراعية فكانت تنتشر في أنحاء متفرقة على مساحات كبيرة خاصة في الضفة اليسرى للوادي. (على عسيري ص ٢٩).

المرحلة الثالثة: (١٩٥٠ - ١٩٩٢)

شهدت المدينة خلال الفترة الحديثة مرحلتين في نموها منذ عام ١٩٥١، كان العمران في المرحلة الأولى منهما حريصا على التواجد بعيدا عن الوادي والقرى الواقعة عليه، وتركز في الأراضي غير المنحدرة بعيدا عن المدرجات والأراضي الزراعية، ويمكن خلال هذه المرحلة أن نميز أربعة تجمعات سكنية رئيسية جميعها حاليا مبنية بالكامل، ثلاث منها تبدو مرتبطة بدروب قديمة، شهدت اثنتان منها تنمية طولية تجارية، الأولى على طول الطريق المؤدي إلى خميس مشيط والثانية على الطريق المؤدي إلى الطائف. (سكان بلان سويكو - تقرير فني ٥ ص ١٨).

أما المرحلة التالية فقد بدأ العمران خلالها ينتشر بعيدا عن التجمعات السكنية القديمة في شكل مبعثر مفضلا المناطق المنبسطة نسبيا، كما هو الحال في مناطق شرسبتة والنمصا والمنهل وبصفة خاصة في المناطق التي جرى تقسيمها ومدت إليها شبكة الطرق، وكان إنشاء شبكة الطرق التي تربط بين المدينة وما حولها أثره في جذب العمران ونموه حولها كما هو الحال في الطريق المؤدي إلى السودة والآخر المؤدي إلى القرعاء، وكذلك الطريق الدائري المحيط بالمدينة (خريطة شكل ٢).

حتى عام ١٩٠٠م
١٩٠٠-١٩٣٠م
١٩٣٠-١٩٥٠م
١٩٥٠-١٩٧٥م
١٩٧٥-١٩٩٢م
دبي / زعبي أبو دنة
الطريق الدائري
بحيرة سد أبي
١٠٠٠ م

شكل (٢)

وكان للنمو العمراني في هذه المرحلة أثره في انخفاض مساحة الأراضي الزراعية بشكل واضح، فقد هُجِر بعضها وتحول إلى أراض بور وزحف العمران على بعضها الآخر، وتحولت إلى استخدامات جديدة، فقد تقلصت مساحة الأراضي الزراعية لتصل إلى نحو ٦٠ هكتاراً في عام ١٩٧٨ بعد أن كان نحو ١٥٠ هكتاراً في عام ١٩٧٥ وذلك داخل الطريق الدائري المحيط بالمدينة. (سكان بلان سويكو - تقرير فني ٥ - ١، ص ١٥٥، كنزو وأورتك ص ١٠٤).

وقد واصل العمران نموه بعيدا عن مركز المدينة وظهرت أحياء جديدة حديثة مثل الحرير في الشرق والخالدية في الغرب والضباب والربوة في الجنوب والقرى في الشمال، وواصلت مساحة الأراضي الزراعية في التقلص ولم يبق منها إلا بعض المزارع المحدودة المساحة على جانبي وادي أبها، وفي مناطق متفرقة من المدينة كما هو الحال في شمال المدينة على الطريق المؤدي إلى الطائف عند تقاطعه مع الطريق الدائري (خريطة شكل ٢).

في هذه ا لمرحلة زحف العمران على الأراضي المستوية والمنحدرة على حد سواء، بل وصل الأمر إلى حد البناء في وادي أبها نفسه بعد إنشاء سد عليه، وتقلصت مساحات الأراضي الفضاء بشكل حاد ولم يبق منها سوى الأراضي الصخرية المرتفعة شديدة الانحدار التي تعوق طبغرافية سطحها استغلالها عمرانيا.

٢ - الموقع والعلاقات المكانية:

تقع مدينة أبها في وسط اقليم عسير، فهي تتوسط مدن خميس مشيط وصبيا وجيزان وبيشة وأبى عريش ونجران وبلجرشى والباحة، حيث تتلاقى الطرق التي تربط بين تلك المدن مرورا بأبها فليس هناك انتقال من المدن الواقعة إلى الشمال منها إلى المدن الواقعة جنوبها أو العكس إلا مرورا بمدينة أبها. (عبدالفتاح حزين، ص ١٦).

ولقد ساعد على فعالية هذا الموقع شبكة الطرق التي تربط المدينة ومجموعة المراكز العمرانية المحيطة بها رغم موضعها الجبلي فوق سروات عسير التي يتم عبورها عن طريق مجموعة من العقبات التي سهلت الاتصال بين الجبل والسهل وساعدت على ربط القرى والمناطق النائية المعزولة[*]، ويمكن أن نحدد محورين رئيسيين للحركة تتوسطها أبها كموقع عقدي، محور شمالي شرقي جنوبي غربي يربط بين الرياض - أبها - جيزان، ومحور شمالي جنوبي يربط تبوك - مكة - جدة - أبها - نجران. ولقد كان لإنشاء، مطار أبها فيما بين مدينتي أبها وخميس مشيط أثره الواضح في زيادة فعالية موقع المدينة وعلاقتها المكانية.

ولقد انعكست أهمية موقع المدينة في إقليم جنوب غرب المملكة حيث توطنت فيها الوظيفة

---

[*] العقبة هي الجزء من الطريق الذي يتم من خلاله الانتقال الفجائي والسريع من منسوب إلى آخر يقل عنه كثيراً، وذلك عن طريق مجموعة من الأنفاق تحفر داخل الجبال أو من خلال مجموعة من الجسور المعلقة كما هو الحال في عقبة الشعار على طريق أبها محايل القنفذة جدة.

الادارية من خلال كونها عاصمة لمنطقة عسير وإمارتها، والوظيفة التعليمية ممثلة في كليات فرعي جامعتي الملك سعود والامام محمد بن سعود الاسلامية، والوظيفة الصحية حيث تقدم مستشفى عسير المركزي الخدمات العلاجية المتخصصة لسكان الاقليم، وكذلك وجود مركز منطقة الجنوب للاتصالات بها. (عبدالفتاح حزين، ص ٣٢).

وكان لوجود هذه الخدمات والوظائف أثرها الواضح في زيادة فعالية الموقع والعلاقات المكانية بين المدينة ومراكز العمران المحيطة بها.

٣ ـ الموضع:

يمثل الموضع أحد الموضوعات التي تهتم بها الدراسات الجغرافية للمدينة، خاصة وأن لكل مدينة خصائص موضعية لا تتكرر في مكان آخر مما يجعل من الموضع عنصراً شديد المحلية من ناحية، كما أن له تأثيره الواضح على نمو المدينة وتطور عمرانها وتشكيل خريطة استخدام الأرض بها. (أحمد اسماعيل، ص ٢٥١).

يعد موضع مدينة أبها أحد ملامحها العمرانية المتميزة، وقد اختار لها سكانها الأوائل موضعا على ارتفاع نحو ٢٢٠٠ متر فوق سروات عسير في موضع عقدي، فهي تقع على أحد نقاط خط تقسيم المياه الفاصل بين الأودية التي تنحدر تدريجياً في اتجاه الشرق وتلك المنحدرة بشدة نحو سهل تهامة غربا، ويحد هذا الجرف الشديد الانحدار جانبي المدينة من الغرب والجنوب الغربي (خريطة شكل ٣). وقد كان لذلك أثره الواضح على تحديد محاور النمو العمراني حاليا ومستقبلا، إذ يقف هذا الانحدار الشديد عائقا أمام النمو العمراني في هذين الاتجاهين بينما كان سهلا متسارعا شمالا وشرقا، ومن ناحية أخرى يمثل وادي أبها ملمحا طبغرافيا مساعدا في تحديد ملامح موضع المدينة وهو يختطها في محور جنوبي غربي شمالي شرقي تقريبا، وعليه كانت تقع نويات عمران ونشأة المدينة كما اتضح سابقا.

لقد حددت هذه الملامح الطبغرافية المنظر العمراني العام لها Urban landscape فهي مدينة جبلية تقع بين مجموعة من التلال الصخرية التي حرص العمران في بدايته على تجنبها واختيار الأراضي شبه المستوية أو بطيئة الانحدار والواقعة بين هذه التلال، ثم زحف العمران بعد ذلك متسلقاً الكثير منها، لقد أقيم الكثير من المباني ـ في الفترة الأخيرة ـ على معدلات انحدار بلغت ١ : ٥ وفي أماكن أخرى وصل المعدل إلى ١ : ٣ وهو معدل يفوق كثيرا المعدلات المسموح بها مما ترتب عليه ايقاف البناء وعدم السماح به على معدل انحدار أكثر من ذلك، هذا بالاضافة الى الكثير من الطرق التي تتعامد على خطوط الانحدار ولا تتوزاى معها ويبلغ انحدارها معدلات لا تقل عن المعدلات السابقة [*].

وقد كان للنشأة الريفية وموضع المدينة عند التقاء الجبل بالوادي أثره في وجود بعض الأراضي الزراعية التي لازال بعضها قائما مستغلا في أرض الوادي أو بعيداً عنه متخللا النسيج العمراني

[*] هذه المعدلات قام الباحث بقياسها في شوارع المدينة في مناطق شمسان والضباب والوردتين. والمعدل المسموح يجب الا يقل عن ١ : ٥

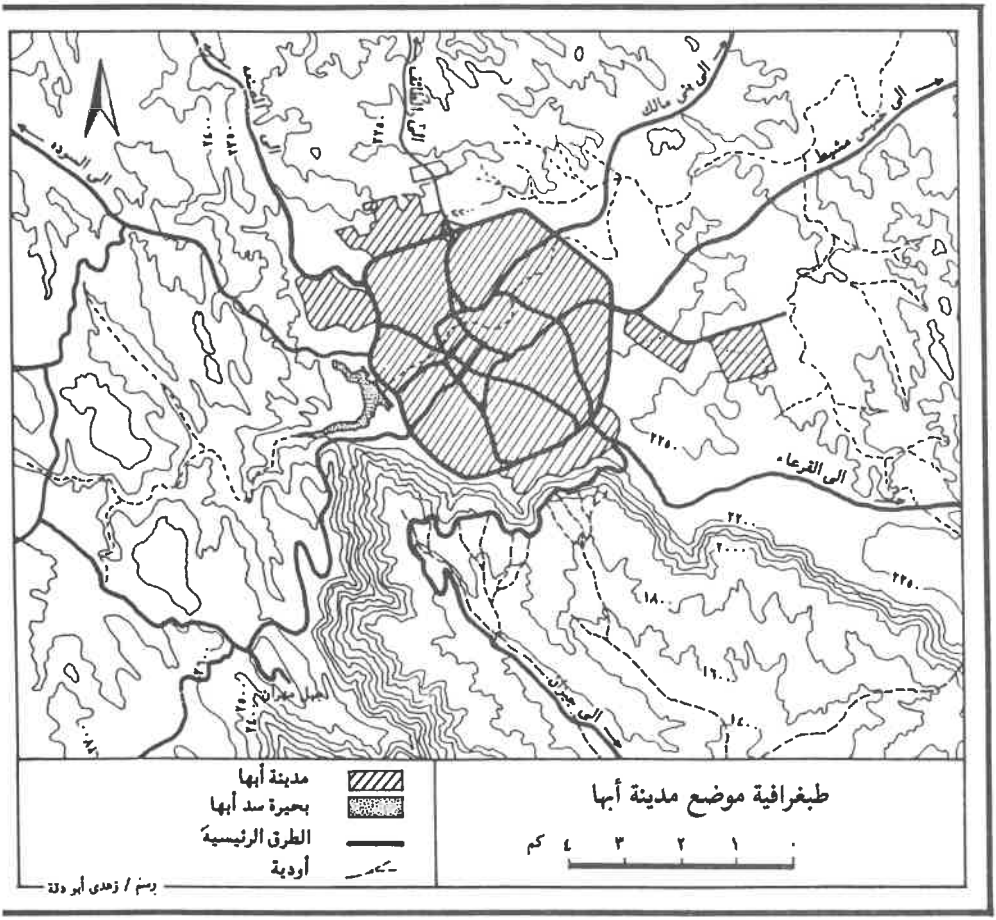

شكل (٣)

الحضري للمدينة مما أضفى عليها طابعاً حضرياً متيمزاً يحكى عن خلفية تاريخية ريفية.

أما المناخ فإن لمدينة أبها واقليمها مناخا تأثر كثيرا بموضعها الطبغرافي فوق سروات عسير، فهي تتمتع بصيف معتدل الحرارة يتراوح متوسطها بين ١٦° ـ ٢٣°م خلال فصلي الربيع والصيف. أما شتاؤها فهو دفىء نهاراً بارد ـ نوعاً ـ ليلا حيث تتراوح درجة الحرارة بين [١٣° ـ ٢١°م] خلال فصلي الخريف والشتاء [مرعى حسين قحطاني ص ٣٣]. إن المقارنة بين الحرارة في أبها وبعض مدن المملكة خلال فصل الصيف توضح مدى اعتدال المناخ بها، فهي في جيزان [٣٦م] والرياض [٣٢,٧م] وجدة [٣٢,٢م] وتبوك [٣٨م]. هذا بالاضافة إلى جفاف الجو وانخفاض نسبة الرطوبة التي لا تتعدى ٦٠٪ في أي من شهور السنة. [سعيد سعد مرطان ص ١٢] وهي سمات مناخية لها دور كبير في خلق الوظيفة السياحية لمدينة أبها.

ويبلغ المتوسط السنوي للمطر في المدينة نحو ٣٠٠ مللم تتوزع على شهور السنة، ويعد فصلا الربيع والصيف أكثر فصول السنة مطراً حيث يسقط فيهما نحو ٧٠٪ من جملة المطر السنوي، وقد كان لاعتدال الحرارة وغزارة الأمطار أثره على الحياة النباتية حيث تغطى الغابات ـ خاصة سفوحها المواجهة للرياح ـ غطاء نباتيا كثيفا من أشجار العرعر العالي مما يضفي على المنظر البيئي العام جمالا وروعة، وبذلك يتضافر المناخ وطبغرافية السطح والنبات الطبيعي في جذب النشاط السياحي للاقليم. [مرعى حسين قحطاني، ص ٢٩، سكان بلان سويكو، تقرير فني ٩-١٢ ص ١٤٢].

كما لعبت ظروف الموضع دوراً واضحاً في تحديد مصادر المياه بالمدينة، فالأمطار الغزيرة الساقطة فوق سروات عسير تتجمع في الأدوية المنحدرة إلى تهامة غرباً أو الهضبة العربية، شرقاً، وطبغرافية السطح شديد التضرس، هذا بالاضافة إلى ظروف التركيب الجيولوجي وسيادة الصخور النارية والمتحولة حالت دون تكوين خزان مائي جوفي يمكن أن تتسرب إليه وتتجمع فيه الأمطار ومن ثم اعتمدت مصادر إمداد المدينة بالمياه على الآبار السطحية في المرحلة الباكرة ومياه بحيرة سد أبها في مرحلة تالية ثم مياه البحر المحلاة أخيراً.

وحتى منتصف السبعينات كان إمداد مدينة أبها بالمياه يمثل أحد مشكلاتها الحضرية الرئيسية، فقد كان سكانها يعتمدون في حصولهم على حاجتهم من المياه من موردين رئيسيين، أولهما مياه الآبار التي كانت تحفر على أعماق قليلة لا زال بعضها قائماً ومستخدماً حتى الآن، كما هو الحال في بئر المزرعة الكائنة على شارع الأمير سلطان قرب تقاطعه مع الطريق الدائري في منطقة شمسان، ونظراً لأن مصدر مياه هذه الآبار هو الجريان السطحي للأمطار فإن كمية مياهها ودرجة ملوحتها كانت تتوقف إلى حد كبير على حالة المطر ومدى غزارته، ومن ناحية أخرى فإن قلة عمقها وقربها من السطح يعرضها للتلوث، ولذلك كان يتم تعقيم مياهها حتى تصلح للاستخدام البشري، وتقوم الجهات المسؤولة بأخذ عينات بصورة دورية ترسل إلى المختبرات لتحليلها والتأكد من صلاحيتها. [مديرية الزراعة والمياه بعسير، ص ٣].

أما المصدر الثاني فهو مياه سد أبها (١٩٧٤) الذي أقيم على وادي أبها غربي المدينة من أجل توفير مياه الشرب، وتبلغ سعته التخزينية نحو مليوني متر مكعب، وقد أقيم بجواره محطة لتنقية مياه بحيرة السد طاقتها نحو ٢٠٠٠ طن يوميا يتم فيها معالجة المياه وتعقيمها وتحويلها إلى مياه صالحة للشرب تنقلها سيارات الصهاريج إلى خزانات المياه بمنازل المدينة. [شعبة خدمات المياة، ص ٢،١].

ويتم حاليا إمداد المدينة بالمياه من خلال مياه البحر المحلاة التي تصل إليها من محطة المياه بالشقيق على البحر الأحمر (١٩٨٨) التي يتم رفع مياهها إلى خزانين سعة كل منهما ٥٠ ألف متر مكعب يقعان فوق جبل خوير جنوب غرب المدينة قرب مستشفى عسير المركزي حيث يتم نقل المياه من محطة التوزيع إلى المنازل عبر سيارات صهاريج تخضع لإشراف بلدية أبها، ومما تجدر الإشارة إليه أنه يتم حالياً تنفيذ مشروع مد أنابيب المياه إلى منازل المدينة تمهيداً للاستغناء عن سيارات

الحدود الادارية لمدينة أبها شكلَ (٤)

الصهاريج، ومع توفر المياه المحلاة بكميات تكفي حاجة سكان المدينة فانه قد تم الاستغناء عن مياه الآبار ومياه سد أبها.

٤ ـ السكان:

يمثل الافتقار إلى بيانات رسمية منشورة عن السكان في المدينة واقليمها مشكلة رئيسية تواجه الباحثين والمخططين، حتى أن المخطط الأخير لمنطقة أبها الحضرية ينص في أكثر من مكان من تقاريره المختلفة عل أن عدم توفر بيانات تفصيلية أو حتى مؤشرات احصائية سكانية حديثة كان عقبة رئيسية واجهت المخطط. [سكان بلان سويكو، تقرير فني ٥ـ٣، ص ٤٧].

وقد بلغ عدد سكان المدينة ٣٠٣٥٤ نسمة وفقا لبيانات تعداد عام ١٩٧٤، ويقدر سكان بلان في مخطط منطقة أبها الحضرية توقعاته لسكان المدينة بنحو ١٠٠,٠٠٠ نسمة في عام ١٩٩٢، وذلك على أساس معدل نمو سنوي يبلغ ٥٪ سنويا، بينما يقدر عدد سكان المدينة بنحو ١٥٠,٠٠٠

نسمة وفقا لمعدل نمو سنوي ٦,٥٪ سنويا. [سكان بلان سويكو، تقرير فين ٩، ص٧]، ويكاد يتفق ذلك مع التقديرات الأخرى مثل تقدير كنزو وأورتك في مخطط المنطقة الجنوبية، وكذلك تقدير بلدية أبها اللذان يقدران سكان المدينة بنحو ١٠٠,٠٠٠ نسمة في عام ١٩٩٠ [كنزو وأورتك، ص٢٨].

أما عن توزيع السكان على مستوى أحياء ومناطق المدينة فلا تتوفر بيانات رسمية منشورة عن ذلك، ولا يجد الباحث إلا ما أورده كنزو وأورتك في تقديره لعدد سكان المدينة المتوقع عام ١٩٩٠ في تقسيم خاص تم من أجل تقدير احتياجات المدينة من المساكن وهو أمر يجب الأخذ به بحذر شديد لأن المتغيرات الديمغرافية والعمراينة التي حدثت بالمدينة عقب إجراء هذا التقدير تجعل بعض هذه التوقعات محل شك وخطأ كبيرين مثل تقديره لعدد سكان منطقة شمسان بنحو ٢٥٠٠ نسمة وهو رقم يقل كثيرا عن الواقع [كنزو وأورتك، ص ٢٨]، ومن ناحية أخرى يلاحظ من خلال هذه التقديرات أن سكان المدينة ينتشرون فوق أحيائها المختلفة بدرجة متعادلة إلى حد كبير، إذ تتراوح الكثافة في هذه الأحياء بين حوالي ٥٠ ـ ٢٠٠ نسمة/ كم^{٢}، ويكاد توزيع السكان بين شطري المدينة الشمالي والجنوبي يكون متعادلا، بينما يبدو النصف الشرقي [٥٢٥٠٠ نسمة] أكثر ازدحاما من النصف الغربي [٣٩٥٠٠ نسمة] ويتركز أكثر من نصف سكان المدينة في الأحياء المطلة على الطريق المؤدي إلى مدخل المدينة الشرقي للقادم من خميس مشيط والرياض، والطريق المؤدي أيضا إلى المدخل الشمالي لها للقادم من الطائف وجدة، وتتمثل هذه الأحياء في البصرة والوردتين وشمسان ومناظر والنمصا الشمالية والنمصا الجنوبية والمنهل وشرشبتة [خرطة شكل ٤].

٥ ـ خطة وتخطيط المدينة:

تمثل خطة المدينة أحد الملامح العمرانية التي تحرص على تناولها الكثير من الدراسات الجغرافية للمدينة، وتعد المعالم الطبغرافية لموضع المدينة أحد العوامل الرئيسية المساهمة في تشكيل هذه الخطة [أحمد اسماعيل، ص ٣٦٢]، هذا بالاضافة إلى تاريخ المدينة ومراحل تطور عمرانها، ولعل ذلك ينطبق بشكل خاص على المدن التي نمت عضويا لتلبي احتياجات سكانها عبر تاريخها الطويل، وهي بذلك تختلف عن المدن المخططة التي حددت عملية التخطيط لها نمط الخطة التي تنمو ويتطور عمرانها في كنفها.

وربما كان من الصعب أن نحدد لمدينة أبها خطة ـ من الأنماط الشائعة ـ يمكن القول إنها عمرانها نما وتطور من خلالها، ويمكن أن يعزي ذلك لطبغرافية موضع المدينة في بيئة جبلية متضرسة تتباين فيها المناسيب من مكان إلى آخر، وأثر ذلك على النمو المبعثر لعمرانها ـ في بعض مراحله الأولى ـ الباحث عن الأراضي السهلة والبطيئة الانحدار، وارتباط مسارات بعض شوارع المدينة ـ خاصة في مراحل النشأة المبكرة ـ بالدروب القديمة التي كانت تصل بين القرى العشر نويات العمران القديم فيها، هذا بالاضافة إلى الطفرة العمرانية التي تسارع فيها النمو العمراني للمدينة خلال العقدين الأخيرين، والذي تم وفق مخططات منفصلة للأحياء الجديدة في كثير من الأحيان.

لقد حددت طبغرافية سطح المدينة مسارات بعض شوارعها، فهناك طريقان رئيسيان يختطان أرض المدينة في محور شمالي شرقي جنوبي غربي يكاد يتوازى مسارهما مع مسار وادي أبها، بل إن أولها يكاد يسير بمحاذاته ويمثله شارع الأمير تركي بن عبدالله وامتداده شارع علي بن أبي طالب ثم شارع الملك فيصل حتى تقاطعه مع الطرق الدائري، أما الثاني فيمثله شارع الملك فهد والجزء الأوسط من شارع الأمير عبدالله ثم شارع الملك عبدالعزيز حتى تقاطعه مع الطريق الدائري [خريطة شكل ٥].

ولكن من ناحية أخرى يمكن ـ بقدر من التحفظ ـ أن يمثل الطريق الدائري المحيط بالمدينة في شكل دائري شبه منتظم ومنطقة الأعمال المركزية التي تكاد تتوسط هذه الدائرة، هذا بالاضافة إلى مجموعة الشوراع الخارجة من هذه المنطقة المركزية نحو الطريق الدائري، تمثل عناصر مكونة لخطة إشعاعية لمدينة أبها الحالية. [خريطة شكل ٥].

أما تخطيط المدينة عمرانياً ـ يشاركها في ذلك اقليم جنوب غرب المملكة ـ فقد بدأ الأخذ به من خلال اهتمام حكومي بتوزيع التنمية على مناطق المملكة المترامية الأطراف خلال العقد الأخير من القرن الهجري الماضي، فقد عهد إلى مكتب كنزو تانج وأورتك لاعداد مخططات للمدن الخمس الرئيسية والتجمعات الريفية في هذا الاقليم، وذلك في عام (١٣٩٤هـ) وانتهى العمل في هذا المشروع عام (١٣٩٨هـ) حين قدمت المخططات النهائية، ولقد أفرد مخطط خاص لمدينة أبها تضمن اقتراحات استعمالات الأرض وتخطيط الهياكل الرئيسية لتطوير خلال عشرين عاما [١٩٧٥ ـ ١٩٩٥م]، وقد تضمن المخطط عرضاً للأوضاع الراهنة أعقبها دراسة تفصيلية للاستخدامات الرئيسية في المدينة وما يتوقع لها مستقبلا، وانتهى التقرير بدراسة لخريطة استخدام الأرض المقترح للمدينة.

وفي مرحلة تالية تم الاتفاق بين وزارة الشئون البلدية والقروية ومكتب المستشار سكان بلان بالتضامن مع المجموعة الاستشارية السويدية سويكو والمركز المعماري السعودي لاعداد مخطط تنفيذي لمنطقة أبها الحضرية التي شملت مثلث مدن أبها ـ خميس مشيط ـ أحد رفيده. وقد تم اعداد مجموعة من التقارير الفنية بلغ عددها تسعة تقارير تضمنها العديد من المجلدات، وقد قدم التقرير الأخير بعنوان «مراجعة وتجديد المخطط الرئيسي الراهن»، ويقصد به المخططات التي أعدها المستشار الياباني كنزو وأورتك في المرحلة السابقة، حيث تم إجراء ما يلزم لها من تنقيح، هذا بالاضافة إلى تعديلات كثيرة على مخططات استعمالات الأراضي الواردة في هذا المخطط.

وقد ركز المخطط على ضرورة إعادة سياسة الطرق والمنطقة التجارية والأعمال التنموية التفصيلية في المناطق المختلفة في مدينة أبها، وقد نشر هذا التقرير في ثمان مجلدات، احتوى الأول منها على المعلومات والهيكل العام للمخطط الرئيسي الارشادي، بينماتضمنت التقارير الثلاثة التالية المنهج التخطيطي لكل من الاسكان والخدمات العامة والخاصة والنقل والمرافق العامة. وتضمن المجلد الخامس الخطوط العريضة لتنمية الأرياف داخل إطار اقليم الدراسة، وتضمنت المجلدات الثلاث الأخيرة المخطط الارشادي لمدن أبها وخميس مشيط وأحد رفيده.

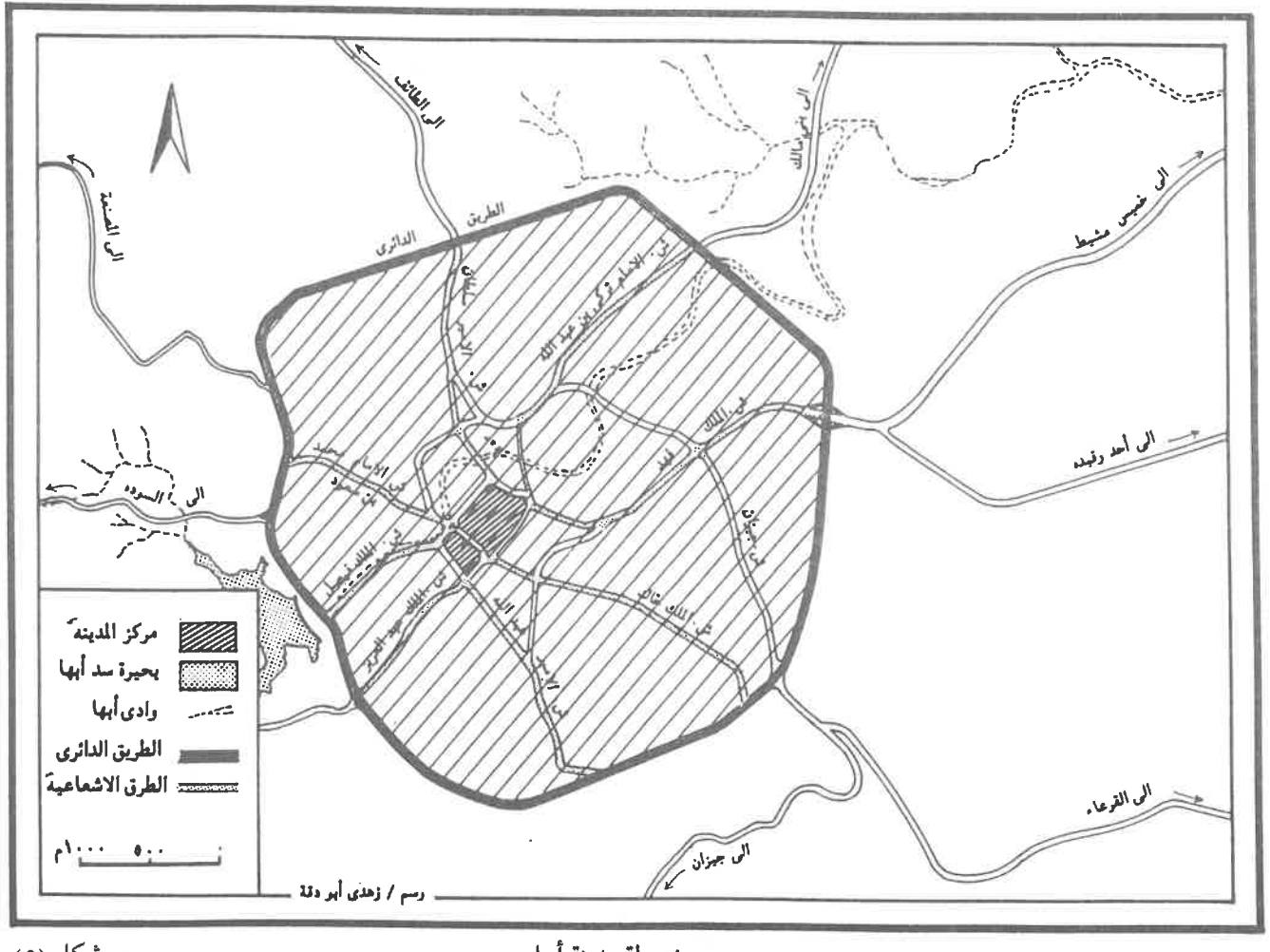

شكل (٥)

خريطة مدينة أبها

وقد قام المستشار سكان بلان سويكو خلال عمله بإجراء مسح للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية الراهنة في منطقة أبها الحضرية ليعوض به النقص في المعلومات الرسمية المنشورة، ومن ناحية أخرى ينص المخطط في تقريره الفني الأخير على أن النقص في البيانات الاحصائية الرسمية خاصة في مجال السكان يعد من أهم المعوقات التي واجهت المخطط، وكذلك عدم توفر الخرائط الجوية اللازمة لدراسة المناطق الريفية. [سكان بلان سويكو، تقرير فني ٥، ص ٣].

يمثل هذا المخطط جهدا علمياً متميزاً يرسم للمدن الثلاث المكونة لإقليم أبها الحضري وما يحيط بها، حياتها خلال الفترة القصيرة المقبلة، ويبدو في كثير من دراساته الحس الجغرافي للمخطط، إلا أنه لم يهتم بما فيه الكفاية بالسياحة كمجال من مجالات التنمية الاقتصادية الرئيسية للاقليم، فقد كانت إشاراته لذلك على قدر من الاختصار إلى حد كبير.

ثانيا: دراسة تحليلية تقييمية لخريطة استخدام الأرض في مدينة أبها

تمثل خريطة استخدام الأرض في المدينة وسيلة رئيسية يلجأ إليها الجغرافيون في دراستهم للتركيب الوظيفي للمدينة، ومن الطبيعي أن تتشكل هذه الخريطة وتتحدد الاستخدامات عليها وفق عديد من العوامل التي تؤثر في عمران المدينة، يختص بعضها بالوظيفة والآخر بالموضع والموقع وأيضاً السياسات الاقليمية أو القومية ـ هذا بالاضافة إلى الوراء التاريخي للمدينة وعوامل أخرى [Northam,p.217].

ولما كانت الوظيفة المبرر الرئيسي لوجود المدينة ومحور نمط الحياة فيها وأحد الأسس الهامة في قيام وتشكيل التركيب العمراني لها، فانها تستحوذ على قدر كبير من الاهتمام في الدراسات الجغرافية للمدينة، [جمال حمدان، ص ٢٥٠] وإذا كانت هذه الدراسة تهدف إلى إبراز أثر الوظيفة السياحية ـ كوظيفة رئيسية في مدينة أبها ـ على خريطة استخدام الأرض بها فهي تسعى إلى إبراز مدى أهمية عامل الوظيفة على الكثير من نواحي الحياة في المدينة التي تظهر بجلاء ووضوح على خريطة استخدام الأرض بها.

لقد شهدت خريطة استخدام الأرض في مدينة أبها الكثير من التغيرات خلال العقدين الماضيين، فقد انتقلت بعض الاستخدامات من وسط المدينة إلى أطرافها، وتعد الوظيفة التجارية من أكثر الوظائف التي شهدت تغيراً واضحاً على هذه الخريطة، حيث انتقلت بعض الأسواق من موقعها القديم في وسط المدينة إلى مناطق جديدة، كما شهدت المدينة أنماطا جديدة من الاستخدامات التجارية مثل سوق الجمعية الخيرية المركزي في وسط المدينة، وتدهورت أسواق تقليدية كانت تعقد في أيام محددة مثل سوق الثلاثاء، وانتقلت العديد من الاستخدامات التجارية كانت تتمركز في منطقة وسط المدينة أو بالقرب منها إلى مواقع جديدة مثل سوق «حراج [*] السيارات» الذي كان يقع على الطريق العام الموصل بين مدينتي أبها وخميس مشيط قبل تقاطعه مع الطرق

[*] الحراج اسم محلي يطلق هنا وفي منطقة الخليج على الأسواق التي تبيع الأشياء المستعملة وأشهرها سوق حراج الأثاث وسوق حراج السيارات.

الدائري إلى موقعه الجديد في إطار المنطقة الصناعية على نفس الطريق، ولكن عل بعد نحو عشرة كيلو مترات من المدينة، وانتقل سوق المواد الانشائية من منطقة وسط المدينة بالقرب من مجمع المصالح الحكومية إلى خارج نطاق الطريق الدائري، وكذلك سوق الماشية الذي كان قائما في أرض فضاء في الركن الغربي من وسط المدينة على إحدى ضفتي وادي أبها، انتقل إلى موقعه الجديد في شمال المدينة إلى الشرق من طريق الطائف، وكذلك انتقل سوق الفحم من منطقة الطوبجية في وسط المدينة إلى جوار سوق الماشية في موقعه الجديد.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الدراسة لا تسعى إلى عرض الصورة التفصيلية والعرض التحليلي لخريطة استخدام الأرض في مدينة أبها، ولكن عرض الصورة العامة لهذه الخريطة من أجل إبراز الملامح الرئيسية لهذا الاستخدام تمهيدا لابراز مدى تأثر هذه الخريطة بالوظيفة السياحية، ويمكن ايجاز الملامح الرئيسية هذه في العناصر التالية:

* تحتل الوظيفة السكنية ـ بطبيعة الحال ـ المساحة الأكبر من الاستخدامات الرئيسية في المدينة والتي تقدر بحوالي ٦٠٪ من المساحة المبنية أو المطورة عمرانياً بها، وتتعدد أنماط السكن لتلبي احتياجات سكانها من ناحية ووظائف المدينة من ناحية أخرى، هذا بالاضافة إلى عنصر الزمن الذي يمكن من خلاله التمييز بين أنماط عمرانية قديمة وأخرى حديثة، وسوف يكون ذلك التباين بين أنماط المسكن في المدينة مجالا لدراسة تفصيلية في المبحث القادم.

* رغم صغر المساحة العمرانية للمدينة ـ مقارنة بالمدن الكبرى في المملكة مثل جدة أو الرياض ـ وضآلة عدد سكانها مقارنة بهذه المدن، فإنه قد تشكلت في منطقة وسط المدينة أعمال مركزية توافرت لها الكثير من خصائص وسمات هذه المنطقة [خريطة شكل ٦].

تتركز داخل هذه المنطقة معظم دوائر المصالح الحكومية والتي تمثلها مقر إمارة عسير ومجمع المصالح الحكومية ومقر البلدية، هذا بالاضافة إلى بعض الادارات الحكومية الأخرى مثل مديرية الأوقاف في الطوبجية والمديرية العامة للمطبوعات التابعة لوزارة الاعلام والمديرية العامة للشئون الصحية والمحكمة الشرعية، أما البنوك فإن هذه المنطقة تستأثر بنحو عشرة فروع للبنوك الرئيسية العاملة بالمملكة، ومن أهمها بنكا الرياض والأهلي اللذان يحتلان تقاطع شارعي الملك عبدالعزيز والأمير عبدالله بالقرب من مجمع المصالح الحكومية، هذا بالاضافة إلى مجموعة من مكاتب الصرافة، ويمثل المجمع التجاري لجمعية الملك فيصل الخيرية الواقع بين مقر الامارة ومجمع المصالح الحكومية، هذا بالاضافة إلى مجموعة من مكاتب الصرافة، ويمثل المجمع التجاري لجمعية الملك فيصل الخيرية الواقع بين مقر الامارة ومجمع المصالح الحكومية مركز التسوق الرئيسي لمعظم سكان مدينة أبها والقرى المحيطة بها، إذ يتوافر به العديد من المحلات التجارية ذات الأنشطة ا لمختلفة، هذا بالاضافة إلى سوق الذهب الذي يقع داخل نطاق هذا المجمع، أما الفنادق فهناك ثلاث منها تقع في منطقة وسط المدينة، بالاضافة إلى فندق رابع تحت الانشاء، وكذلك بعض المكاتب العقارية ووكالات السفر والسياحة، ويمثل ذلك ارتباطا بين تشكيل منطقة الأعمال المركزية وتواجد الوظيفة السياحية، وتتوافر لمرتادي هذه المنطقة مساحات كافية من أماكن الانتظار التي تتوزع داخل نطاق

المنطقة لتكمل العناصر المشكلة لمنطقة الأعمال المركزية بالمدينة.

* تتعدد صور النشاط التجاري على خريطة استخدام الأرض في المدينة، فقد نمت بها مناطق تجارة ذات نمط شريطي الامتداد ارتبطت بعدد من الشوارع الرئيسية الموصلة إلى منطقة الأعمال المركزية في وسط المدينة، يتمثل هذا بشكل خاص في شارع الأمير سلطان خاصة في قطاعه الأوسط في منطقتي شمسان والمنهل وشارع الملك فهد في قطاعه الأوسط أيضا في منطقة النمصا، حيث يوجد العديد من المحلات التجارية التي يتعامل بعضها في مجموعة كبيرة من السلع مثل أسواق «السوبر ماركت» والبعض الآخر في نوع محدد من السلع مثل الأثاث والسجاد والأجهزة الكهربائية وقطع غيار السيارات.

يوجد بالمدينة عدد من الأسواق المتخصصة يعقد بعضها أسبوعيا مثل سوق الثلاثاء الواقع في حي المنتزه على شارع الملك خالد، وكذلك سوق «الحراج» الذي يعقد يومي الخميس والجمعة، وتباع فيه الأدوات المنزلية والأثاث المستعمل، والذي يقع بجواره سوق الحيوانات الحية ويسمى «سوق الغنم»، وسوق الفحم وسوق الخضروات والفاكهة، وكلها تقع متجاورة في حي سر العوفة على الطريق الدائري للمدينة في قطاعه الشمالي، ومن هذه الأسواق المتخصصة سوق لبيع الأدوات المنزلية يقع في حي الوديعة ويسمى محلياً «سوق الأردن»، وتجدر الإشارة إلى أن بعض الأحياء الجديدة قد تكونت بها أسواق تجارية محلية تتوسط الحي تقريباً كما هو الحال في حي النميص الواقع خارج الطريق الدائري على طريق أبها خميس مشيط، وفي نفس الوقت تعاني أحياء أخرى جديدة من نقص واضح في الخدمات التجارية كما هو الحال في حي الخالدية وحي القرى وهما يقعان أيضاً خارج الطريق الدائري المحيط بالمدينة.

* تتعدد المرافق التعليمية والجهات المشرفة عليها بالمدينة، فهناك رئاسة تعليم البنات تشرف على مدارس البنات في مراحلها المختلفة بالاضافة إلى كلية البنات، وتشرف وزارة المعارف على مدارس ومعاهد البنين، هذا بالاضافة إلى وزارة الشئون الاجتماعية والعمل التي تشرف على رياض الأطفال تعليم المعوقين كذلك وزارة الدفاع والطيران التي تتبعها بعض المعاهد أو مراكز التدريب المهني الفني، أما التعليم العام بمراحله الاربعة، رياض الاطفال والمراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية فإن مدارسها تنتشر في معظم أحياء المدينة السكنية كما يتضح من خريطة استخدام الأرض بها [خريطة شكل ٧]، وتوجد بالمدينة ـ أيضا ـ مراكز للتعليم الجامعي وما في مستواه، وهي تمثل أهم المرافق التعليمية المؤثرة على خريطة استخدام الأرض بها، وأحد مصادر نمو فعالية العلاقات المكانية للمدينة واستقطابها لرحلات التعلم لمعظم طلاب الاقليم الذي تقع فيه، يمثل فرع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الذي يضم كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية وكلية الشريعة الواقعتين على امتداد شارع الأمير سلطان والطريق المؤدي إلى الطائف، وجامعة الملك سعود التي تضم كليتي التربية والطب وتقعان على الطريق الدائري في قطاعه الجنوبي الغربي تقريبا أهم مراكز التعليم الجامعي في المدينة، بالاضافة إلى كلية المعلمين وكلية البنات الواقعتين على طريق أبها ـ خميس مشيط.

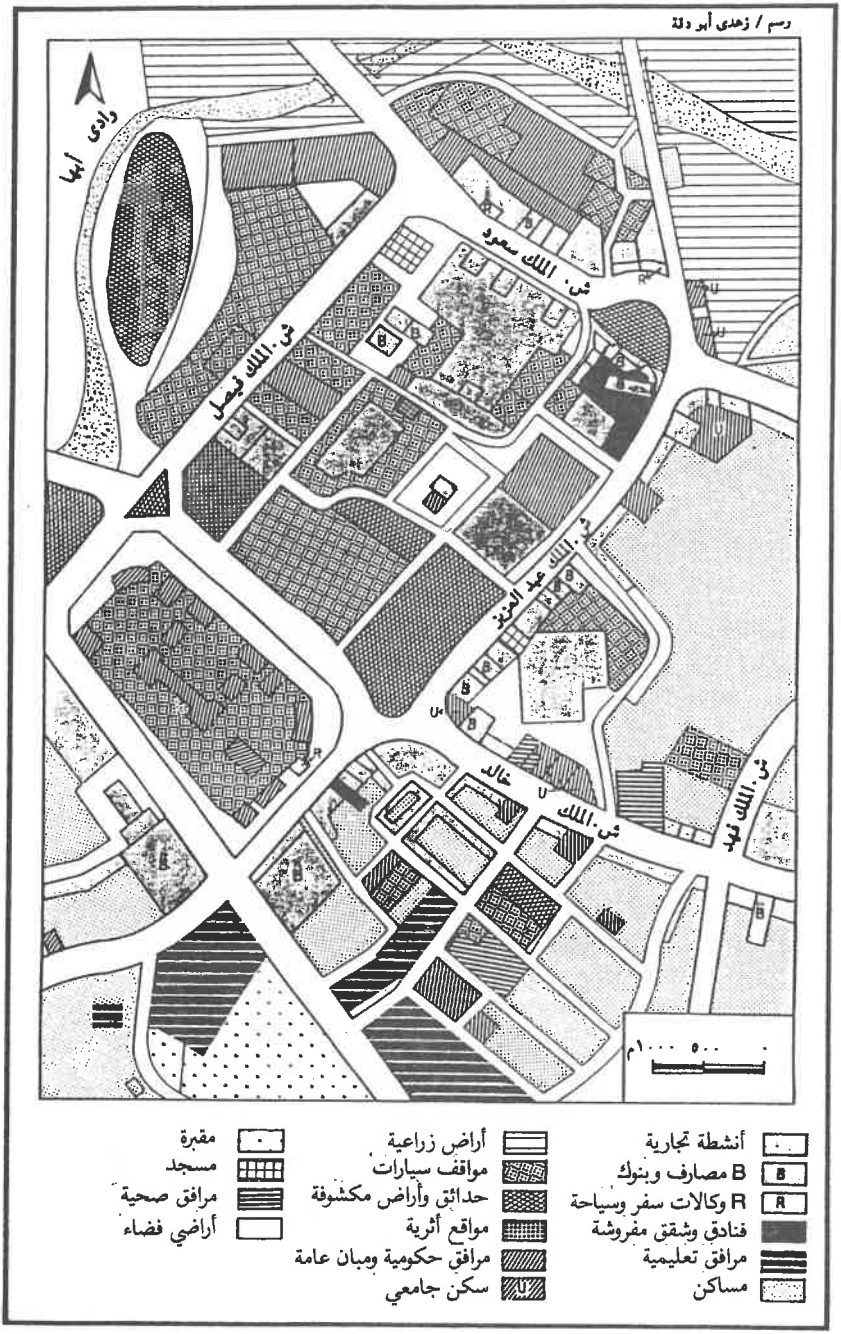

استخدام الأرض في مركز مدينة أبها — شكل (٦)

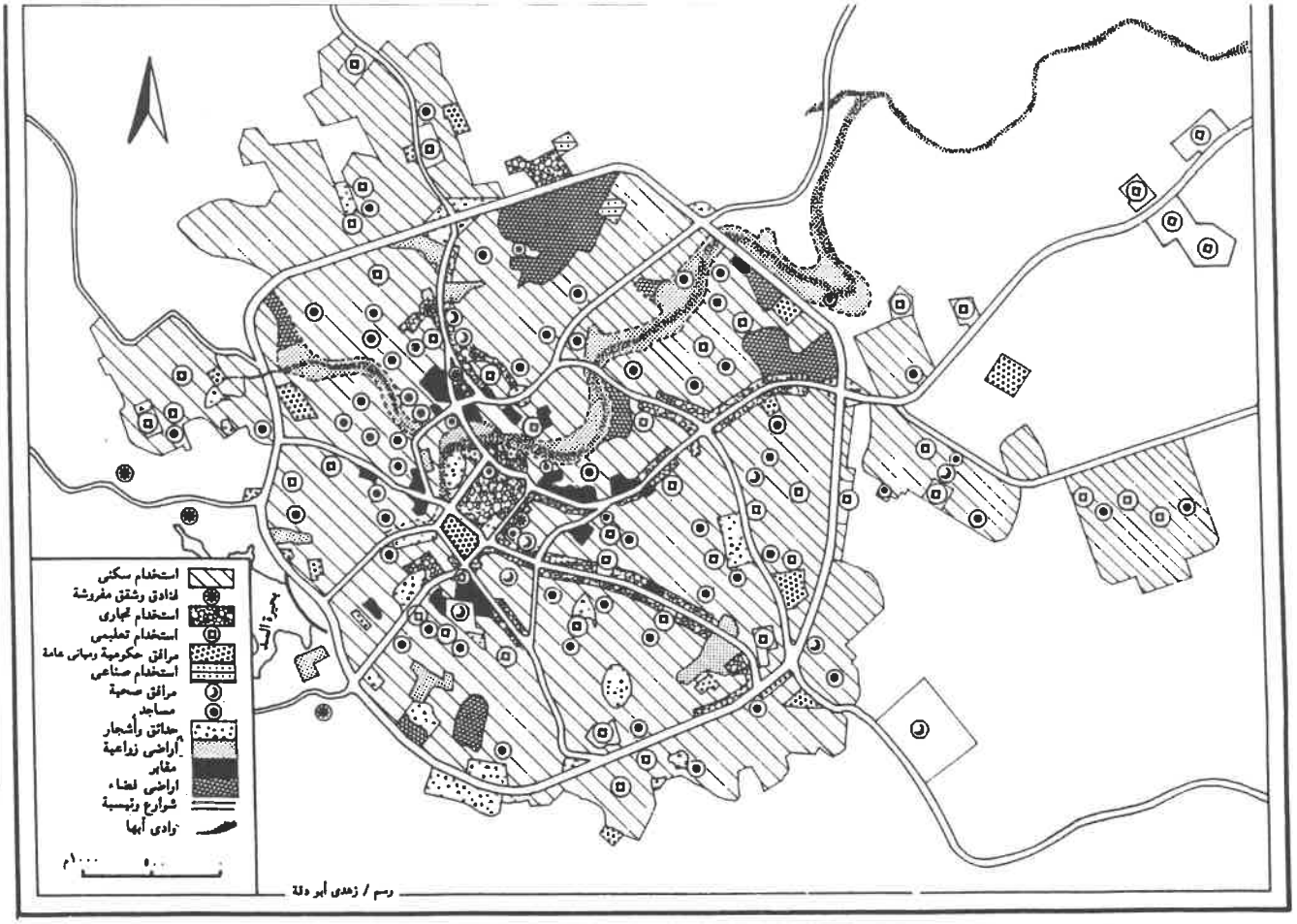

استخدام الأرض في مدينة أبها

شكل (٧)

ـ تتوفر الرعاية الصحية في المملكة وفق نظام تدريجي هرمي يوفر هذه الرعاية للسكان تبعا للنظام التالي «وزارة التخطيط، ص ٣٦١».

ـ تمثل مراكز الرعاية الصحية الأولية أساس تقديم الخدمات السكانية للسكان، حيث يخدم كل مركز منها نحو ٥٠٠٠ نسمة في المدن التي يقل سكانها عن ٢٠٠ ألف نسمة ويبلغ عدد هذه المراكز في المدينة خمسة مراكز.

ـ يخدم كل مجموعة من المراكز الصحة الأولية مستشفى عام يتواجد في مدن الاقليم عادة يخدم منطقة عسير الصحية ١٧ مستشفى عاماً يمثل مستشفى أبها العام النموذج الممثل لهذا المستوى من الخدمة الصحية بالمدينة.

ـ مستشفى مركزي يخدم الاقليم الصحي ويمثله هنا مستشفى عسير المركزي ومقره مدينة أبها أيضاً.

كما تتوافر بالمدينة بعض الخدمات الصحية المتخصصة، مثل مستشفى الأمراض الصدرية ومركز النقاهة والتأهيل الطبي ومركز طب الأسنان، هذا بالاضافة إلى خمسة مستشفيات خاصة تشارك في تقديم الرعاية الصحية لسكان المدينة والاقليم المحيط بها تحت إشراف حكومي.

* يمثل المسجد أحد أهم العناصر في التكوين العمراني للمدينة الاسلامية، وتنتشر المساجد بين أرجاء المدينة وفي أحيائها السكنية ويبلغ عددها نحو خمسين مسجدا [خريطة شكل ٧] ويتم التفرقة هنا بين المسجد الجامع الذي تقام فيه صلاة الجمعة وبين المساجد الأخرى، وتتباين مساحة هذه المساجد، إذ قد لا تزيد مساحة بعض منها عن ثلاثين متراً مربعاً، ولكن عددها قليل ومعظمها تمثل زوايا قديمة، أما المساجد الحديثة خاصة تلك التي أقيمت في الضواحي السكنية الحديثة فإنها جيدة البناء متسعة المساحة، ويعد مسجد الملك فهد المقام في حي القرى أكبر مساجد المدينة بينما يعد مسجد الموصلية أحدثها بعد إعادة بنائه في حي شمسان.

* تعد كثرة المقابر واتساع المساحة التي تشغلها من المساحة العمرانية للمدينة من الأمور التي تشد انتباه زائر المدينة أو المقيم فيها خاصة وأنها تتخلل الأحياء السكنية خاصة القديمة منها، وهو أمر لا يحدث في مدننا العربية التي يتخذ بعض جغرافي المدن موضعها مؤشرات لمراحل تطور ونمو عمران المدينة، حيث من المعتاد أن تتواجد المقابر على أطراف المدينة في منصرف الرياح في معظم الأحيان، ويبلغ عدد المقابر داخل النطاق الدائري للمدينة حوالي ٢٧ مقبرة تبلغ مساحتها حوالي عشرة هكتارات تمثل نحو ٠,٨٪ من المساحة المبنية للمدينة.

ويمثل توزيع المقابر وانتشارها داخل المنطقة السكنية أحد المشكلات العمرانية في المدينة، فهي تحتل مساحة كبيرة كان من الأفضل أن تشغلها استخدامات أخرى تتكامل مع الاستخدامات الموجودة حولها خاصة وأن بعضها يشكل مواقع هامة من المدينة بالقرب من مركزها، وهي مشكلة يصعب الاقتراب منها ووضع حلول سريعة لها نظراً لما يرتبط بهذا الأمر من صبغة دينية وقيود اجتماعية، ولا يخفى ما لهذه المقابر من آثار سيئة على الصحة العامة لسكان المدينة، خاصة وأن تربتها تتعرض أحياناً للانجراف بواسطة مياه الأمطار الغزيرة وما يمكن أن يمثله ذلك من أثر واضح على تلوث الهواء والاضرار بالصحة العامة لسكان المدينة، ويمكن في هذا المجال وفي محاولة لايجاد حل لهذه المشكلة

البدء في إيقاف أعمال الدفن بهذه المقابر والتحول إلى مواقع جديدة بالنسبة لعمران المدينة الحالي والمستقبلي تمهيداً لتحول هذه المقابر إلى استخدامات أخرى.

* يمثل الاستخدام الصناعي القائم في المدينة مجموعة من الخدمات الفنية يقدمها عدد من الورش الفنية التي يقوم بعضها باصلاح الأجهزة الكهربائية وبعضها الآخر بإصلاح السيارات، وعددها قليل للغاية داخل المدينة، هذا بالاضافة إلى عدد من الورش التي تقوم بتغيير زيوت السيارات واصلاح الاطارات، وتتركز هذه الخدمات بشكل خاص في شوارع المدينة الرئيسية، وحول مركزها التجاري وتقل كلما اتجهنا نحو الأطراف بوجه عام.

وتجدر الإشارة إلى أن المنطقة الصناعية للمدينة توجد بعيدة عنها على بعد حوالي ١٢ كيلو متراً إلى الشرق منها على طريق أبها ـ خميس مشيط، حيث يتركز فيها الكثير من الخدمات الصناعية التي يحتاجها سكان المدينة مثل ورش اصلاح السيارات وورش أعمال الألمونيوم وبعض الصناعات المنزلية وورش النجارة، ولعل هذا التوطن للمنطقة بعيداً عن عمران المدينة يمثل أحد الخصائص المشكلة لخريطة استخدام الأرض بها، هذا بالاضافة إلى تمتع المدينة بمناخ بيئي نظيف إلى حد كبير.

* تتعدد المرافق الترويحية والترفيهية في المدينة ولكنها ـ كما سيتضح فيما بعد ـ لا تتوفر بكثرة تتناسب وأهمية المدينة كمركز للنشاط السياحي في الاقليم، حيث يفد إليها الكثير من الزوار والسائحين خلال فصل الصيف لتكون مقراً لاقامتهم خلال مدة اصطيافهم، وتتمثل هذه المرافق في عدد من الحدائق ومدن الملاهي والألعاب والمقاهي الشعبية وسوف يرد الحديث عن هذه المرافق بشكل تفصيلي في المبحث الثالث من هذا البحث.

* يتخلل عمران المدينة هنا وهناك عدداً من المزارع، بعضها محدود المساحة والآخر ذو مساحة كبيرة نسبيا، وتضفي هذه المزارع على العمران الحضري في المدينة طابعاً مميزاً يزيد من مساحة الأراضي الخضراء والمكشوفة بالمدينة، وتمثل هذه المزارع بقايا النشاط الزراعي الذي كان قائماً في موضع المدينة وأثرا من آثار النشأة الريفية للمدينة كما اتضح سابقا.

تبلغ مساحة هذه الأراضي نحو ١٢ هكتاراً، يقع الجزء الأكبر منها على ضفاف وادي أبها خاصة في قطاعه الجنوبي وحول قرى نويات العمران الحالي التي سبق الاشارة إليها، بل إن هناك بعض المزارع تحتل مجرى الوادي نفسه بعد بناء سد أبها، وهناك بعض المزارع هجرت تمهيداً لاستخدامها في وقت لاحق استخداماً حضرياً كما هو الحال في المزرعة الموجودة في حي شمسان المطلة على شارع الأمير سلطان.

ثالثا: أثر الوظيفة السياحية على خريطة استخدام الأرض في مدينة أبها

تهتم الكثير من الدراسات الجغرافية بدراسة توطن الوظيفة السياحية وخدماتها في المدينة وإبراز مدى تأثر خريطة استخدام الأرض بتوطن هذه الوظيفة السائدة فيها، وأثرها ـ أيضا ـ على العمالة ووسائل النقل والمواصلات ومرافق الخدمات الأخرى وغير ذلك من الآثار التي ترتبت على وجود السياحة ومقوماتها في الاقليم [Robinson, P.XXVI].

تمثل موسمية السياحة وحركتها في كثير من أماكن توطنها إحدى المميزة لهذا النشاط وهذه الحركة، وتعد ـ في نفس الوقت ـ أحد الأسباب الرئيسية التي تدفع الدارسين إلى تقصي ما تتركه هذه الوظيفة من آثار على خريطة استخدام الأرض والعناصر الأخرى، وإلى أي حد يمثل هذا استخداما إيجابياً أو سلبياً لموارد وإمكانات البيئة الحضرية والاقليم المحيط بها.

وإذا كانت السياحة يمكن أن تساهم ـ بشكل واضح ـ في تشكيل خريطة استخدام الأرض في بعض المدن السياحية، كما هو الحال في مدن المصايف الشاطئية والتي تمثل الواجهة البحرية لها العمود الفقري الذي تنتظم حوله أنماط استخدام الأرض بالمدينة، فإن ذلك لا يحدث ـ بنفس الطريقة ـ في مدن المصايف الجبلية نظراً لاختلاف طبغرافية السطح في كل منها، ولكن ذلك لا ينفى ـ تماما ـ تأثر خريطة استخدام الأرض بالسياحة وحركتها في هذه المدن والمنتجعات الجبلية [حمدي ابراهيم، ص ٣١٥].

إن جولة متأنية بين أجزاء مدينة أبها ومطالعة لخريطة استخدام الأرض بها يمكن أن توضح بجلاء مدى تأثر هذه الخريطة التركيب المورفولوجي لها بتوطن الوظيفة السياحية بها، مع كونها المركز الرئيسي لهذا النشاط في إقليم جنوب غرب المملكة بوجه عام وإمارة عسير بوجه خاص، ومن ناحية أخرى لا يمكن القول أن تشكيل خريطة استخدام الأرض في المدينة قد خضع لتأثير الوظيفة السياحية وحدها، ولكن شارك في هذا التأثير والتشكيل لهذه الخريطة الوظائف الرئيسية الأخرى للمدينة.

إن للوظيفة الإدارية وأبها مقر لامارة عسير تتواجد على أرضها مقار أفرع الوزارات والمصالح الحكومية المختلفة ـ كما اتضح سابقاً ـ أثرها الواضح على خريطة استخدام الأرض وتشكيلها لمنطقة الأعمال المركزية بها، وتمثل الوظيفة التعليمية إحدى الوظائف الرئيسية حيث يوجد بها ست كليات جامعية تمثل أفرعا لجامعات سعودية، هذا بالاضافة إلى بعض المعاهد العالية المتخصصة تستقطب طلابها من كافة المناطق المحيطة بالمدينة القريبة منها والبعيدة عنها ـ على حد سواء، ولها هي الأخرى أثر واضح في المشاركة في تشكيل خريطة استخدام الأرض في هذه المدينة، ولقد تضافرت الوظائف الثلاث، السياحية والإدارية والتعليمية وتكاملت وتفاعل تأثيرها على هذه الخريطة بحيث يصعب أحياناً، ويسهل أحياناً أخرى تحديد أثر كل منها على هذه الخريطة.

ويمكن في إيجاز تحديد أهم الآثار التي تركتها الوظيفة السياحية على خريطة استخدام الأرض في مدينة أبها في الآتي:

أولا: تعدد أنماط السكن:

يشغل الاستخدام السكني في معظم المدن المساحة الأكبر بين أنماط استخدام الأرض في المدينة، كما يلقي عناية خاصة في دراسته من كافة المهتمين بدراسة المدينة على اختلاف مناحيهم وتخصصاتهم، كل يتناولها من ناحية، الاجتماعيون منهم يهتمون بإبراز العلاقة بين أنماط السكن ومستوى الدخل والحالة الاجتماعية كمتغيرات مؤثرة في نمط المسكن. [Carter, P.291] وتحرص الدراسات الجغرافية على إبراز التباين الإقليمي لأنماط السكن من حيث عمر المبنى ومادة بنائه وطرازه

-المعماري وعناصر أخرى [Northam, P.314] .

كان للطفرة السكانية والحضرية التي دفعت بعدد سكان المدينة من حوالي ٣٠٥٠٠ نسمة عام ١٩٧٤ إلى حوالي ١٠٠,٠٠٠ نسمة عام ١٩٩٠، ومن مساحة عمرانية لا تزيد عن ٣٥٠ هكتاراً في عام ١٩٨٦ إلى حوالي ٦٠٠ هكتار في عام ١٩٩١، أثره الواضح في نمو المساحة العمرانية التي تشغلها المنطقة السكنية بالمدينة لتصل إلى حوالي ٦٠٪ من مساحتها العمرانية في عام ١٩٩٢، [الأرقام من حساب الباحث] ومن ناحية أخرى كان للوظيفة السياحية النامية التي أولتها الجهات المسؤولة الكثير من العناية والاهتمام تحقيقاً للهدف الرامي إلى تنمية موارد الاقليم المحلية وتوجيهها وتنميتها من أجل الإسراع بعملية التنمية، مما يتطلب معه ضرورة توفير أماكن الإقامة والإيواء للسائحين والزائرين للمدينة والاقليم بما يتناسب ونمو الوظيفة السياحية بها. [وزارة التخطيط، ص ص ٢٨٨، ٢٨٩].

كان على الوظيفة السكنية أن تلبي احتياجات القطاعات المختلفة من سكانها الوطنيين والوافدين، الذين يعيشون في أسر أو أفراد، هذا بالاضافة إلى الزائرين والسائحين وطلاب الجامعات والمعاهد العلمية، وإذا كان من الطبيعي ـ في معظم المدن ـ أن تتعدد أنماط السكن مما يمكن معه تقسيمه إلى العديد من الأنماط وفق عدد من الأسس والمعايير المختلفة ، فإنه يمكن تحديد الأنماط السكنية في مدينة أبها وفقاً لمعيار طريقة الاقامة والإيواء أو الاستخدام وهو ما يهمنا في مجال هذه الدراسة، ويمكن أن يلقي الضوء على مدى تأثر الاستخدام السكني بالمدينة بالوظيفة السياحية، وفيما يلي عرض لأهم هذه الأنماط:

(١) المسكن الخاص:

وتتمثل الخصوصية هنا في أنه ملك خاص لصاحبه تسكنه الأسرة أو عدة أسر تربط بينها ـ في الغالب ـ وشائج القرابة، وهذا هو النمط السائد لسكنى المواطنين من السعوديين المقيمين بالمدينة، وتمثل الفيلا على الطراز الأوروبي الحديث والذي لا يتعدى عدد طوابقها ثلاثة طوابق، النمط الحديث الذي بدأ يشيع للسكن الخاص خلال العشرون عاماً الأخيرة، ويتركز ـ بصفة خاصة ـ في الأحياء الجديدة من المدينة مثل أحياء الخالدية والقرى الجديدة والبصرة والجامعة والضباب، ومعظمها خارج الحزام الدائري المحيط بالمدينة.

ويمثل المنزل العربي النمط القديم من المساكن الخاصة، وقد ساد بناؤه في فترة التحول من الريف إلى الحضرية خلال عقدي الخمسينات والستينات، ولذلك يتركز وجوده حالياً ـ بصفة خاصة ـ في أحياء المدينة القديمة مثل أحياء لبنان وشمسان والمفتاحة وقابل.

(٢) المسكن المشترك:

يجمع هذا النمط بين السكن الخاص والمؤجر، حيث يخصص صاحب المسكن جزءا منه يقوم بتأجيره إلى أسرة أو أكثر حسب المساحة التي تخصص من أجل ذلك، وقد بدأ هذا النظام يشيع في

بعض المناطق الحديثة العمران ـ على وجه الخصوص ـ مثل الخالدية وشرسبتة والضباب، وهو يمثل محاولة من أصحاب المساكن الخاصة المشاركة في تلبية الطلب عل السكن، وفي نفس الوقت استثمارا يدر عائدا يشارك في تكوين دخل الأسرة من ناحية أخرى، ويتم تأجير هذا النوع من المساكن للأسر الوافدة المقيمة بالمدينة.

(٣) المسكن المؤجر:

تتعدد أنماط هذا النوع من الاستخدام السكني سواء من حيث كونه مفروشاً أو غير مفروش، أو من حيث مدة الايجار أو طبيعة الأشغال، وتعد العمارة السكنية متعددة الطوابق، والتي يصل متوسط عدد طوابقها إلى نحو ثلاثة طوابق هي النمط السائد للمسكن المؤجر بالمدينة، [*] يتكون كل طابق من عدد من الشقق يتناسب ومساحة المبنى، وإن كان معظمها يتكون من شقتين أو ثلاث، أما عدد الغرف فهو في المتوسط يتراوح بين اثنتين إلى ثلاث غرف، ويتركز هذا النمط من المساكن بشكل خاص في الأحياء المحيطة بوسط المدينة والقريبة من مقار العمل في الدوائر الحكومية أو غيرها مثل الكليات الجامعية والشركات.

ويمكن أن نتبين الأنماط التالية الرئيسية من المسكن المؤجر:

أ ـ المسكن المؤجر غير المفروش:

يمثل النمط السائد في المدينة لسكنى العمالة الوافدة في الغالب، وإن سكنته في بعض الأحيان أسر سعودية لظروف خاصة مثل الانتظار لحين الانتهاء من بناء وتجهيز المسكن الخاص بها أو الانتقال من الريف إلى المدينة ـ حديثاً ـ للعمل أو تغيير مقر العمل، وننبه إلى أن الفصل بين سكنى الوطنيين وغيرهم من الوافدين ـ كما هو الحال مثلا في مدينة الكويت ـ أمر غير قائم هنا، حيث تختلط الفئتان في سكناهما دون تخصيص أحياء لكل منهما. [أحمد حسن، ص ٢٧٧] ولكن من ناحية أخرى يلاحظ أن ارتفاع نسبة سكنى الوافدين من غير السعوديين في أحياء محددة وقلتهم بشكل واضح في أحياء أخرى، أما الأحياء التي تزداد بها سكنى الوافدين فتمثلها أحياء شمسان والصفيح ولبنان وقابل والنمصا والخشع والمنهل والعزيزية والطوبجية واليمنية، بينما يقل وجودهم بشكل خاص في الأحياء الحديثة مثل الضباب والخالدية والقرى الجديدة.

ب ـ المسكن المؤجر المفروش:

يبدو من خلال التسمية ارتباط هذا النمط من المساكن المؤجرة بالحركة السياحية من ناحية وطبيعة العمالة المحلية والوافدة من ناحية أخرى، ويتمثل هذا النمط في مسكن يؤثث بشكل بسيط

[*] رغم سيادة هذا الارتفاع في المدينة إلا أن هناك عددا قليلا من العمارات السكنية التي يزيد عدد طوابقها عن ذلك كثيراً، إذ تصل نحو عشرة طوابق، وهي تتركز بوجه خاص في منطقة وسط المدينة.

للغاية وحدته الشقة في الغالب أو الغرفة في بعض الأحيان، ويلبي هذا النمط من المساكن احتياجات الحركة السياحية ـ خاصة ـ حين يخصص أصحاب العقارات الخاصة جزءا من مسكنهم يقومون بتأجيره مفروشاً خلال موسم السياحة في فصل الصيف، ويظل المسكن خالياً دون استغلال بقية العام، وعادة ما يؤجر هذا النمط من المساكن المفروشة للعائلات من المصطافين في فصل الصيف.

جـ ـ المسكن المؤجر لمدة عام:

ويمثل هذا النمط السائد من المساكن المؤجرة غير المفروشة، حيث مدة عقد الايجار عام هجري كامل يتم تجديده تلقائياً ما لم يخطر أحد طرفي العقد ـ المؤجر أو المستأجر ـ الآخر برغبته في إنهاء العقد، ويسود هذا النمط في العمارات السكنية خاصة في المناطق التي سبق الإشارة إليها والتي ترتفع بها نسبة سكنى العمالة الوافدة.

د ـ المسكن المؤجر لمدة عام دراسي:

يرتبط هذا النمط من عقود الايجار بالحركة السياحية ومدى نشاطها في المدينة، وقد بدأ يشيع في الفترة الأخيرة، حيث ينص عقد الايجار على أنه لمدة عام دراسي أي حوالي تسعة أشهر، ويمثل ذلك محاولة من قبل الملاك لاستغلال واستثمار المسكن المؤجر خلال موسم السياحة الذي ترتفع الايجارات فيه بشكل واضح، هذا بالاضافة إلى الرغبة في عدم ترك المسكن شاغراً بقية العام، وهو أمر يمكن تحقيقه بتأجير المسكن إلى العاملين في مجال التربية والتعليم أو طلاب المعاهد والكليات الوافدين إلى المدينة للدراسة بها.

هـ المسكن المؤجر للعائلات:

تفرض طبيعة المجتمع المحافظ على أصحاب المساكن المؤجرة ضرورة الحرص على عدم إسكان غير المتزوجين من الأفراد أو المتزوجين المقيمين بمفردهم دون أسر في سكن مشترك مع عائلات، ولذلك يخص لسكنى كل من الفئتين سكن خاص لكل منهما ولا يسمح باختلاط أو تجاور سكناهما، ويمكن القول أن سكنى العائلات تسود في أحياء المدينة المختلفة دون تحديد ـ وذلك أمر طبيعي ـ وبصفة خاصة في السكن المشترك مع عائلات وطنية في مسكنها الخاص.

و ـ المسكن المؤجر للأفراد (العزاب):

تفد بعض العمالة من جنسيات مختلفة ـ في الغالب ـ كأفراد وليس كأسر ولذلك دعت الحاجة ـ مراعاة للتقاليد الاجتماعية وتعاليم الدين الاسلامي وطبيعة المجتمع الريفي ـ إلى الفصل بين سكنى هذه الفئة من السكان «العزاب» وسكنى العائلات، حيث يخصص لهم ـ غالبا ـ مساكن خاصة بهم، وعادة ما تكون هذه المساكن من نمط المساكن القديمة رخيصة الايجار القريبة ـ إلى حد ما ـ

من مقار عمل هذه العمالة كما هو الحال في أحياء شمسان ولبنان وقابل، وتسكن فئة كبيرة من هذه العمالة بالمنطقة الصناعية الكائنة على طريق أبها ـ خميس مشيط، حيث تبنى لهم غرف لإيوائهم فوق الورش التي يعملون بها.

السكن السياحي:

يقصد به السكن المخصص ـ بصفة رئيسية ـ لإيواء السائحين، ومن الطبيعي أن تتعدد أنماط الإيواء السياحي في عالم تنشط فيه حركة السياحة العالمية وتتباين أسس تصنيفها وطرق دراستها، وتمثل الفنادق والقرى السياحية وبيوت الشباب والمراكز السياحية أنماطا من الإيواء الجماعي للسائحين، أما المخيمات والمقطورات Caravan والبيت الثاني والمساكن الموسمية المفروشة فتمثل أنماطا لإيواء خاص [فيصل عارضه، ص ص ١٨ ـ ٣٠]، ويمكن أن نتبين أنماطا ثلاثة لاقامة وإعاشة حركة السياحة في مدينة أبها خلال موسمها في فصل الصيف هذا بالاضافة إلى الأنماط الأخرى التي سبق ذكرها مثل الشقق المفروشة وهذه الأنماط الثلاثة هي:

أ ـ الفنادق:

تمثل الشكل الرئيسي من أشكال الإيواء السياحي وأحد أعمدته الثلاث، السفر والاقامة والتسلية، ويتصف الايواء بها بأنه مؤقت، ومن ناحية أخرى يمكن اعتبارها مؤشرا لنشاط حركة السياحة في الاقليم. [فيصل عارضه، ص ١٨].

ويوجد في مدينة أبها ـ وحدها ـ سبعة فنادق يقع ثلاث منها في منطقة وسط المدينة وكلها من فنادق الدرجة الثالثة بينما يقع فندقان آخران بالقرب من هذه المنطقة في حي شمسان، أما الفندقان الباقيان فهما يقعان على أطراف المدينة اختير لكل منهما موقع متميز، وهما من فنادق الدرجة الأولى، الأول منهما يطل على بحيرة سد أبها ويشرف على المدينة من أعلى، والثاني يقع في منطقة جبال السودة [خريطة شكل ٧]، هذا بالاضافة إلى فندق جديد يتم إنشاؤه حالياً في منطقة المفتاحة في وسط المدينة، وتبلغ الطاقة الإجمالية لهذه الفنادق نحو ٤٥٠ غرفة وحوالي ألف سرير، ولعل مما تجدر الاشارة إليه أن هذه الفنادق تعاني ـ بوجه عام ـ من موسمية العمل حيث تقل نسبة الأشغال بها لتصل نحو ٣٠٪ من طاقتها خلال الموسم غير السياحي، بينما تبلغ نسبة الأشغال في حدها الأدنى ـ في الأحوال العادية ـ نحو ٩٥٪ من طاقتها في موسم السياحة خلال فصل الصيف[*].

ب ـ الشقق الفندقية:

بدأ هذا النمط يشيع وجوده بالمدينة خلال الفترة الأخيرة، ويتمثل في تخصيص عمارة سكنية وحدة السكن بها هي الشقة المفروشة، وتسمى هنا «مراكز الشقق المفروشة»، ويتم تأجيرها خلال

[*] هذه البيانات أمكن الحصول عليها أثناء العمل الميداني من العاملين في الاستقبال بفنادق المدينة.

موسم السياحة في فصل الصيف وتترك خالية بقية العام.

بلغ عدد مراكـز الشقق المفـروشة بالمدينة نحو ثلاثين مركزاً. وتنقسم هذه المراكز إلى ثلاث فئات: الدرجة الأولى والثانية (أ) والثانية (ب)، وقد بلغ عدد مراكز الدرجة الأولى سبعة مراكز تتركز معظمها في منطقة وسط المدينة أو بالقرب منها. ونشير إلى أن بعض هذه المراكز في محاولة لاشغالها طول العام فانهم يقومون بتأجيرها للطلبة ـ بصفة خاصة ـ خلال العام الدراسي بأسعار خاصة تقل كثيراً عن الأسعار السائدة في موسم الاصطياف، ومن ناحية أخرى يلاحظ أن معظم السائحين والزائرين للمدينة يفضلون الاقامة في مثل هذا النمط الذي يستأثر وحده بنحو ٤٠٪ من جملة الحركة السياحية وتفضله ـ بصفة خاصة ـ العائلات منهم. [الغرفة التجارية الصناعية بأبها، ص ١٤].

جـ ـ المنزل الثاني:

يمثل هذا نمطاً خاصاً من أنماط الإيواء السياحي، حيث تعمد بعض الأسر غير المقيمة في أبها وربما بعيداً عنها ـ في جدة أو الرياض مثلا ـ من السكان الوطنيين إلى إقامة مسكن خاص لها تأتي إليه لقضاء الاجازات والعطلات، وبصفة خاصة الاجازات الدراسية في منتصف العام وخلال شهر رمضان والعطلة الصيفية، من أجل التمتع بظروف الطقس السائد في المدينة خاصة خلال فصل الصيف، ويعد هذا نمطاً حديثاً غير شائع الاستخدام بالمدينة وان كانت أعداده في تزايد من عام لآخر.

د ـ المخيمـات:

تعد الإقامة في مخيمات أحد الأشكال الرئيسية للإيواء السياحي، فيعمد الكثير من الشباب ـ خاصة ـ غير المتزوجين والقادمين في مجموعات إلى الاقامة في مخيمات توفر لهم قدراً من الحرية وخفضاً في تكاليف الاقامة، تخصص لاقامة هذه المخيمات أماكن محددة بعيدة عن سكنى العائلات من ناحية وعن المدينة من ناحية اخرى، وذلك في بعض المنتزهات المنتشرة في نطاق منتزه عسير الوطني مثل منتزه دلغان، ولقد أوضحت دراسة الخصائص السياحة في الاقليم أن أكثر من نصف الشباب «العزاب» القادمين للاصطياف يفضلون الاقامة في هذه المجتمعات [حسين ريماوي، محمد أرباب، ص ٣٧].

ثانياً: الخدمات السياحية بالمدينة:

إذا كانت السياحة صناعة خدمات بالدرجة الأولى فإنه من الطبيعي أن ينتشر على أرض المدينة العديد من الخدمات التي تلبي احتياجات هذه الوظيفة، يمكن للمتجول بين أرجاء مدينة أبها أو

الناظر إلى خريطة استخدام الأرض بها أن يلحظ وفرة بعض الخدمات بدرجة تفوق حاجة سكان المدينة منها مثل المطاعم، هذا بالاضافة إلى وجود خدمات سياحية ترتبط بموسمية هذا النشاط من ناحية وتلبى احتياجات السائحين أكثر من غيرهم من ناحية أخرى مثل مراكز الشقق المفروشة والمكاتب العقارية.

بلغ عدد المكاتب العقارية بالمدينة نحو تسعين مكتباً تنتشر فوق أرجائها يتركز نحو ٧٠٪ منها في الأحياء التي تنشط فيها الحركة السياحية التي يمكن تحديدها بتلك المحيطة بقلب المدينة التجاري، وتقوم هذه المكاتب بدور الوسيط في تأجير الشقق، حيث يعهد أصحاب العقارات والشقق المفروشة أو غيرها إلى أصحاب هذه المكاتب بتأجيرها نظير عمولة يتقاضاها المكتب من الطرفين المالك والمستأجر، ومن الطبيعي أن ينشط عمل هذه المكاتب في موسم السياحة والاصطياف في فصل الصيف بالاضافة إلى فترة بداية العام الدراسي، وتقوم هذه المكاتب أيضاً بدور الوسيط في عمليات بيع وشراء العقارات والأراضي بالمدينة وما حولها، وهو دور محدود ـ إلى حد كبير ـ مقارنة بدورها في مجال تأجير الشقق المفروشة بصفة خاصة خلال موسم السياحة والاصطياف.

وتمثل كثرة المطاعم بالمدينة ملمحاً عمرانياً آخر يميز خريطة استخدام الأرض بها، إذ بلغ عددها نحو ١٣٠ مطعماً، يتركز نحو مائة مطعم منها في المنطقة السياحية بالمدينة، هذا بالاضافة إلى نحو خمسين مطبخاً تقدم خدماتها هي الأخرى ممثلة في إعداد الوجبات الخاصة بالولائم والحفلات نظير أجر يتقاضاه المطبخ من أجل عملية الطهي والاعداد فقط، إن هذا العدد الكبير من المطاعم والمطابخ ـ بالنسبة لحجم المدينة العمراني والسكاني ـ لا نجد له نظيرا بهذا المستوى والكثافة في التوزيع والانتشار حتى في مدن المملكة الكبيرة الحجم مثل جدة أو الرياض، وإن كانت هذه الظاهرة تكاد تتكرر في مدينة مكة المكرمة ـ إلى حد ما ـ وفي المدينة المنورة ارتباطاً بحركة السياحة الدينية في موسم العمرة وموسم الحج إلى الأماكن المقدسة بالمدينتين.

وارتفاع نسبة العزاب في المدينة ـ من الموظفين والعمال والطلاب ـ خلال الموسم غير السياحي يعد عاملا مساعداً على كثرة المطاعم التي تقدم خدماتها للسائحين خلال الصيف ولغيرهم بقية العام خاصة وأن العمل بها لا يعاني من موسمية السياحة كما تعاني منها خدمات سياحية أخرى مثل الفنادق.

ومن الخدمات الأخرى التي تتوافر بالمدينة محلات كي وغسيل الملابس وتنظيفها التي يطلق عليها هنا «المصبغة» ويبلغ عددها نحو خمسين محلا تقدم خدماتها لسكان المدينة ومرتاديها خلال فصل الصيف ولغيرهم بقية العام.

وتمثل شركات ووكالات السياحة والسفر التي تتولى أعمال حجز تذاكر السفر وأعمال الشحن والتي يبلغ عددها في المدينة نحو عشرة مكاتب يتركز معظمها في المنطقة التجارية وسط المدينة، هذا بالاضافة إلى مكاتب تأجير السيارات التي تعد ـ أيضا ـ من الخدمات المرتبطة إلى حد كبير بالنشاط السياحي في المدينة.

ثالثا: المساحات الخضراء بالمدينة:

حرصت الجهات المسؤولة بالاقليم على الاهتمام بالشجرة والمساحات الخضراء لما لذلك من أثر على تكامل عناصر الجذب السياحي في المدينة من ناحية، واستكمال عناصر الجمال في الصورة البيئية التي تكون الجبال والأودية خلفيتها من ناحية أخرى.

وتتمثل المساحة المدنية الخضراء في نمطين رئيسيين أولهما الأراضي الزراعية التي تمثل بقايا الحياة الريفية التي كانت سائدة عند نشأة المدينة قبل تحولها إلى الحياة الحضرية كما اتضح سابقاً، تنتشر هذه المزارع في كثير من مناطق وأحياء المدينة المختلفة وهي تضفي على المنظر العمراني Urban land Scape ملمحاً عمرانياً يميزها حضرياً ويخبر عن ماضيها الريفي بشكل واضح، وتوضح الخريطة [شكل ٧] توزيع هذه المزارع التي تقدر مساحتها حالياً بنحو ١٨,٢ هكتاراً.

أما النمط الثاني - وهو الأكثر ارتباطاً بالوظيفة السياحية، فتمثله مجموعة من الحدائق والمنتزهات تنتشر في أحياء المدينة المختلفة وتتعدد صورها، فهناك الحدائق العامة التي تتراوح مساحة كل منها بين ٢- ٤ هكتارات وأهمها حديقة أبو خيال في حي الضباب وتقع في غرب المدينة عند حافة الانحدار نحو الغرب ويقسمها الطريق الدائري المحيط بالمدينة إلى جزئين يطل الجنوبي منهما على المدينة من ارتفاع كبير يعطي الناظر لها بانوراما رائعة الجمال للمدينة كلها، بينما يطل الجزء الآخر من الحديقة على الحافة شديدة الانحدار المطلة على الأودية المتجهة غرباً إلى سهل تهامة، ويمثل هذا جزءاً من منتزه عسير الوطني، هذا بالاضافة إلى الحدائق التي تحتل مداخل الطرق مثل الحديقة الكائنة عند تقاطع شارع الأمير سلطان وطريق الطائف مع الطريق الدائري، وكذلك الحدائق التي تقع أسفل الجسور مثل حديقة جسر لبنان في منطقة شمسان، وتمثل المساحات الخضراء التي تحتل الجزر الوسطى لمعظم شوارع المدينة ودوائر الميادين العامة، وكذلك حدائق المجاورات السكنية المحدودة المساحة والانتشار التي توجد داخل الأحياء خاصة الحديثة منها أنماطا من مساحات خضراء تساعد في إضفاء قدر من الجمال على المنظر الطبيعي للمدينة.

الخاتمة:

تمثل السياحة أحد الوظائف الرئيسية لمدينة أبها التي شاركت في تشكيل خريطة استخدام الأرض والحياة فيها، وتمثل السياحة في اقليم عسير بوجه عام ومراكزه الحضرية الرئيسية بوجه خاص أحد القنوات الرئيسية التي يمكن أن يصب فيها الكثير من جهود التنمية الاقتصادية لهذا الاقليم، حيث يمكن أن تلعب دوراً في النهوض به حضارياً واجتماعياً واقتصاديا بما تملكه من مقومات كثيرة لسياحة ناجحة متميزة.

وإذا كان من أهم أسس التنمية السليمة والتخطيط الناجح توفر البيانات والمعلومات التفصيلية الدقيقة عن الواقع الحالي تحت يد فريق التخطيط، فإن عدم توفر هذه البيانات عن اقليم الدراسة يمثل عقبة كبيرة أمام أي خطة سياحية يجب العمل على تذليلها إذ تمثل قلة البيانات عقبة ليس فقط أمام المخطط الاقليمي أو الحضري هنا ولكن أيضاً أمام الدارسين والباحثين.

أن السياحة وحركتها لها الكثير من الآثار الايجابية خاصة في المجال الاقتصادي بما تخلقه من رواج ونشاط لحركة التجارة خلال موسمها، هذا بالاضافة إلى فرص العمل التي توفرها في المرافق السياحية المختلفة، ومن ناحية أخرى تمثل موسمية الحركة والنشاط أحد السلبيات الرئيسية التي تعاني منها السياحة كوظيفة وصناعة، إلا أن مدينة أبها ـ وهي مركز سياحي رئيسي في اقليم عسير ـ لا تعاني من تلك الموسمية كما تعاني منها مدن سياحية أخرى في العالم، يقلل من ذلك ـ إلى حد كبير ـ تكامل الوظيفتين التعليمية والسياحية، فمع بداية الاجازة الصيفية للمرافق والمؤسسات التعليمية تنشط الحركة السياحية بالمدينة، ويفد إليها العديد من السائحين والزائرين ـ أسراً وأفراداً ـ لقضاء العطلة بها، وعند نهاية الموسم السياحي الصيفي يتبادل الحركة السائحون والزوار المغادرون للمدينة مع سكان المدينة من الوافدين العاملين بمرافقها الحكومية ـ بوجه خاص ـ والعائدين من أوطانهم عقب قضائهم الاجازة الصيفية، وكذلك سكان المدينة من الوطنيين العائدين من قراهم وريفهم المحيط بالمدينة أو من خارج المملكة بعد قضائهم للاجازة الصيفية وبداية العام الدراسي.

لقد كان لهذه الحركة المتبادلة بين القادمين إلى المدينة في بداية العام الدراسي والسائحين المغادرين لها في نهاية فصل الاصطياف أثره الواضح في تقليل المعاناة التي تقاسيها الحركة السياحية من موسمية كما هو الحال في كثير من المدن السياحية خاصة تلك التي تمثل السياحة الوظيفة الرئيسية أو الوحيدة بها، ويكفي للدلالة على ذلك ملاحظة الحياة في المدينة خلال عطلة منتصف العام الدراسي وهي هادئة تحس أن معظم سكانها قد هجروها، وهناك الكثير من المرافق والخدمات التي يرتبط نشاطها بالوظيفتين السياحية والتعليمية على حد سواء، تكاد تتوقف عن العمل خلال هذه العطلة القصيرة.

إن مزيداً من التطور والنمو العمراني المرتبط بنمو ونشاط السياحية بمدينة أبها والمنطقة الحضرية المحيطة بها سوف يؤدي إلى تبلور ظاهرة المدينة الرئيسية وما يتبع ذلك من تأثير سلبي على هوامش الاقليم وفقدانه لفرصة النمو الريفي، هذا بالاضافة إلى أن تركز الاستثمارات في المنطقة الحضرية ـ في المستقبل القريب ـ سوف يؤدي إلى نشأة سلبيات الحج وأخطار التلوث الناجم عن شدة الازدحام وتدني مستويات المرافق وخدماتها. [محمد أرباب، ص ٢٥].

وإذا كانت الظروف الطبغرافية لموضع المدينة ـ كما اتضح تمنع نموها في كافة الاتجاهات وتحدد ذلك في اتجاه أو اثنين، فإن ذلك قد يكون دافعاً قوياً لعدم الاستطراد في النمو، لأن ذلك قد يؤدي إلى القضاء على الكثير من المساحات الخضراء التي تعد أحد الملامح الرئيسية للمدينة ووظيفتها السياحية، هذا بالاضافة إلى أن تركز الوظيفة السياحية في مدينة أبها يضر بالسائح والزائر لها من ناحية، وساكني المدينة والمقيم فيها من ناحية أخرى، لوجود منافسة قوية على السلع والخدمات في ذروة الموسم السياحي، وقد أوضحت دراسة الغرفة التجارية أن مراقبة أسعار الشقق المفروشة والفنادق والمواد الاستهلاكية تمثل أحد المقترحات الرئيسية التي طالب بها المصطافون لمنطقة عسير من أجل سياحة أفضل تجذب مزيداً من السائحين والزوار إليها [الغرفة التجارية بأبها ص ٤٦]، مما يدفع بالتوجه نحو التفكير في أشكال جديدة للاقامة وإيواء السائحين والمصطافين بعيداً عن المدينة

مثل الموتيلات وبيوت الشباب ومنازل الاستجمام وغير ذلك من صور الاقامة السياحية، ويمكن في هذا المجال بعث الفكرة التي نادت بها مجموعة الاستشاريين النمساويين لاقامة منتجع قرية أبها، التي تتلخص في إقامة قرية سياحية قرب حديقة ترفيهية سياحية تقام خارج مدينة أبها، وقد اقترحت المجموعة موقعا لها على الطريق المتفرع من الطريق الدائري إلى جبل نهران [المستشارون النمساويون للسياحة، ص ص ٤١ - ٤٧].

إن مدينة أبها وقد تجاذبتها عدة وظائف رئيسية تدفع بعمرانها نحو نمو سريع تعكسه بوضوح مقارنة بين المدينة خلال عقد الستينات وما وصلت إليه في بداية التسعينات من هذا القرن مما يوضح أنه من الضروري أن يتنبه المخطط الاقليمي إلى أن السياحة في المدينة يمكن أن تعاني - مستقبلا - من عدم كفاية الطلب المتزايد على عناصر الموقع، ووفقاً لما يسميه بوتلر Butler بالدورة الاقتصادية للسياحة فإن جاذبية المدينة السياحية يمكن أن تتناقص بسبب الاستخدام المتزايد للسياح والزائرين من ناحية، ونمو سكان المدينة ومنافسة الوظائف الأخرى من ناحية ثانية، وهو أمر يحتاج إلى دراسة علمية يتم من خلالها تحديد الطاقات الطبيعية والاجتماعية والبيئية للمواقع والخدمات السياحية في المدينة واقليمها، حتى يمكن التخطيط السليم لتنمية السياحة مستقبلا بها. [Butler, P.4] .

أوضحت خريطة استخدام الأرض في المدينة تداخل الوظيفتين السكنية والسياحية معاً في بعض أحياء المدينة، وهو أمر يجب أن يأخذه بعين الاعتبار والانتباه المخطط السياحي والاقليمي، خاصة وأن المجتمع المحلي يضع الكثير من القيود الاجتماعية التي تفرضها العادات والأعراف الاجتماعية والالتزام بمبادىء الدين الاسلامي في مجتمع ذي جذور ريفية من ناحية وذي طبيعة اجتماعية محافظة من ناحية أخرى.

إن الحركة الجغرافية للأفواج السياحية سواء داخل المدينة أو خارجها تمثل أحد الملامح ذات التأثير الاجتماعي والاقتصادي بعيد المدى، وهذا أمر يجب توجيه بعض الدراسات المتخصصة إليه من أجل لفت أنظار المخططين إلى الآثار التي يمكن أن تترتب على هذا التداخل، وخاصة الآثار السلبية منها، [محمد أرباب، ص ٣٥] ولعل ذلك يدعو إلى ضرورة التفكير في تبني المخطط لفكرة القرى السياحية المتكاملة التي يمكن أن تقام على أطراف المدينة في مناطق يتوافر بها الكثير من عناصر الجذب السياحي، مثل البناء على الطراز العسيري وتوفر وسائل الترفيه والتسلية وربطها بشبكة من الطرق الموصلة إلى المناطق السياحية، وتعد قرية المفتاحة القائمة في منطقة المفتاحة في مدينة أبها نموذجاً للقرى السياحية المشيدة على الطراز العسيري ويمكن تكرارها وتعديل الفكرة لتصبح قرية سياحية ناجحة تجذب إليها الكثير من السائحين والزائرين للمدينة.

قائمة المصادر

أولا المصادر العربية :

- أحمد علي اسماعيل، دراسات في جغرافية المدن ، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٨٢ .
- الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، اليمامة، الرياض، ١٩٧٧ .
- الغرفة التجارية الصناعية بأبها، نحو تحقيق تنمية سياحية أفضل بمنطقة عسير، أبها، ١٩٩١ .
- المستشارون النمساويون للسياحة، ستانزل وهوفلنر، دراسة لتطوير السياحة في أبها وخميس مشيط بمنطقة عسير، تقرير غير منشور، فينا، ١٩٨٧ .
- جمال حمدان، جغرافية المدن، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٢ .
- حسين سناف الرياوي، محمد ابراهيم أرباب، التركيب الاجتماعي والاقتصادي والثقافي لرواد متنزه عسير الوطني [١٤٠٨ - ١٤٠٩هـ]، إدارة التطوير السياحي بإمارة عسير، بحث غير منشور، أبها، ١٩٩١ .
- حمدي أحمد ابراهيم يوسف، سياحة الاصطياف في مصر، رسالة دكتوراة مقدمة إلى كلية الآداب بجامعة القاهرة - غير منشورة - الجيزة، ١٩٨٨ .
- سعيد سعد مرطان، دور السياحة الداخلية في تلبية متطلبات التنمية الاقتصادية للمنطقة الجنوبية من المملكة العربية السعودية ، ندوة استراتيجية وبرامج التنمية الاقليمية والريفية في المملكة، الرياض، ١٩٨٧ .
- سكان بلان سويكو، أبها: المخطط التنفيذي، تقرير في ٥-١ ، ٥-٣، ٩-١٢ الرياض، ١٩٨٢ .
- شعبة خدمات المياه بعسير، سد أبها، تقرير غير منشور، أبها، ١٩٨٦ .
- عبدالفتاح إمام حزين، مدينة أبها قصبة إقليم عسير، معهد البحوث والدراسات العربية، سلسلة الدراسات الخاصة، العدد ٣٩، القاهرة، ١٩٨٨ .
- علي أحمد عمر عسيري، أبها في التاريخ والأدب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣ .
- فؤاد حمزة، في بلاد عسير، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ١٩٦٨ .
- فيصل عارضة، العرض السياحي، مجلة السياحة العربية، العدد ٤١، عمان ١٩٧٤ .
- كنزو تانج وأورتك، مشروع دراسة تخطيط المنطقة الجنوبية - تقرير المخطط الرئيسي، أبها ، وكالة الوزارة لشؤون تخطيط المدن، الرياض، ١٩٧٨ .
- محمد ابراهيم أرباب، مبادىء أولية في التخطيط للسياحة في اقليم عسير، بحث غير منشور، كلية التربية جامعة الملك سعود، أبها، ١٩٩٠ .
- مديرية الزراعة والمياه بعسير، التقرير السنوي لعام ١٤٠٥ هـ ، أبها، ١٤٠٦هـ .
- مرعى حسين القحطاني، أثر خصائص التربة على مورفولوجية النبات الشجري في واد واض، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩١
- وزارة التخطيط، خطة التنمية الخامسة [١٤١٠ - ١٤١٥ هـ]، الرياض، ١٩٨٩ .

ثانيا: المراجع الأجنبية :

- Abdul fattah K., mountain Farmer and Fellah in Asir, South West of Saudi Arabia, in, Eriangen Geographiche Arbeiten, Erlangen, 1981.

– Butler R.W., **The concept of tourist area cycle of evolution,** Canadian geographer, Vol. 24, No.1, London, 1977.
– carter H,. **The study of Urban geography,** Edward Arnold, london, 1975.
– Northam R.M., **Urban Geography,** John Wiley, New York, 1979.
Robinson H., **Geography of Tourism,** Macdonald & Evans, London, 1976.